

للراشدين فقط

Mature Audiences Only.

It contains explicit language that may offend some readers.

“Language is a Human Limitation” _AD

TRANSLATION MONITOR

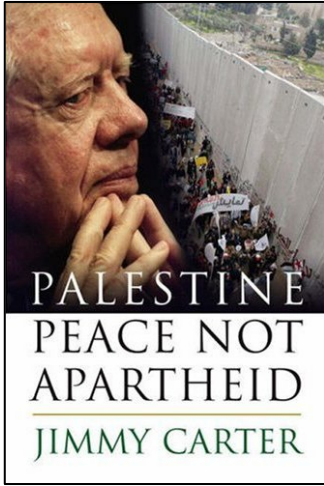
Volume 3, Issue 06, December 2006

Carter and Scandalous Arabic Translations!

كارتر وفضائح الترجمة العربية

بقلم علي درويش

كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦



أثار هذا الشهر كتاب الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر ضجةً كبرى في الأوساط السياسية والإعلامية الأميركية المنحازة. وكما كان متوقعا فقد تدافع الإعلام العربي إلى تغطية الحدث. فحصلت الصحافة على نسخة "مبكرة" منه، وراحت الفضائيات العربية تستضيف المحللين والمراقبين والباحثين والمفكرين، للتعليق على هذا الكتاب ورصد ردود فعل "الشارع" الأميركي تجاهه. ولعل مراكز الدراسات العربية أو دور النشر المرموقة تسارع إلى ترجمة الكتاب إلى العربية حتى يستطيع أهل الضاد التمتع في كلام مسؤول أميركي سابق رفيع المستوى يخبرهم عن الانحياز العضوي الأعمى للإدارات الأميركية المتعاقبة الذي لا يخفى إلا على من فقد البصيرة، ويحك وجعهم وقرفة جروحهم وطلاءها^٢.

ومن الأرجح أن من يفوز بحقوق الترجمة سوف يعهد بترجمة الكتاب إلى ثلة أو زمرة من المترجمين، يقوم كل واحد منهم بترجمة ملزمة أو عدد من الصفحات لقاء حفنة من القروش، ليخرج الكتاب إلى السوق في مدة قياسية، فتمتلئ جيوب ناشريه وتنتفخ الكروش ويتمكن المترجمون في زمن الرق والاستعباد الفكري والمهني من دفع فاتورة أو تسديد قسط أو تأمين طعام! ولكن، كما يقول أهل الضاد "المكتوب يعرف من عنوانه"! وعنوان كتاب الرئيس الأسبق في الإنجليزية هو:

Palestine: Peace Not Apartheid

¹ Book covers courtesy of Amazon. All rights remain vested with the copyright holder.

² القرفة والطلاء: قشرة الجرح والدم اليابس. يقابلها في الإنجليزية: scab.

Copyright © 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.

All Rights Reserved.

فإننا بالمترجمين الفطاحل في الإعلام العربي المرئي والمسموع والمقروء، يترجمون العنوان كالاتي:

فلسطين: سلام لا فصل عنصري فلسطين: سلام لا أبارتيد فلسطين: سلام لا نظام فصل عنصري

فيتلقف هذه الترجمة القاصي والداني، ويقبلها في غياب رهيب للحس اللغوي والفطرة والسليقة والتفقه في اللغة. ولا يستشعرون خلافا في هذه الترجمة الحمقاء. بل يكررها الإعلام والخبراء والمختصون والمراقبون والمترجمون، فيضرب فيهم المثل العربي الأصيل (بال حمار فاستبال أحمره) وينسحب عليهم قول الشاعر:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ | إِلَّا الْحِمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يَدَوَائِهَا

ولا عجب فحتى سدنة العلم الفقهي واللغوي تجدهم لا يعرفون أبسط الأمور اللغوية ويمرون عليها مرور الكرام، وينشغلون بالخطوط الحمراء وإشارات السير، التي لا يمكن تجاوزها، وتصبح عمائمهم كالصحن الطائرة، كلما زاد قطرها زاد غباؤهم وغلواؤهم وانخراطهم في أمور لا تنهيمهم. بل يكرسون بتفاسيرهم أنماطاً فكرية واجتماعية تحدثت خلالها جذرياً في المنظور الاجتماعي والنفسي لدى من يصدقونهم، كذاك العالم الجليل الذي قال لمشاهديه على عجل في نهاية برنامجه وبطريقته الهوجاء المعهودة {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}³، وعليك أن تكررنا ثلاث مرات على طريقة الخطباء والفقهاء والسياسيين والزعماء العرب المعاصرين، حتى تستقر وتثبت وترسخ وتتأصل في نفسك ونفس سامعها، فأوحى إليهم بأن الله يريد للناس الحزن والهم والغم. ولم يقل لهم إن من معاني (الفرح) البطر والأشر. وهي هنا بهذا المعنى. فتجدهم راحوا يحرمون ويمنعون ما يفرح ويسر ويبهج النفس ويطربها، ويحطمون الأقراص ويحرقون الأشرطة والأفلام، حتى يأتي سياسي متقلب متلون متحذلق أحقق يعمل بالراموت⁵، ولا خير في ود امرئ متلون إذا الريح مالت مال حيث تميل، يكرر ما لقنه إياه سيده عن عهود الظلام والشمولية، ويتهم الناس

³ سورة القصص. الآية ٧٦، {إن قال له قومه لا تفرح أن الله لا يحب الفرحين}. من معاني الفرح: السرور والبطر والأشر والرضا. انظر تفسير الجلالين. ويستدرك ذلك في موقع آخر.

⁴ مرض جديد يسيطر على عقولهم في فن الخطابة العربي الحديث لدى السياسيين العرب الصاعدين والمصاعدين والمستصعدين، فيظنون أن تكرار اللفظ ثلاث مرات يغير الحقيقة والواقع أو القدر والأحداث، نحو (الحكومة باقية، باقية، باقية) و(لن تسقط، لن تسقط، لن تسقط). فلا يكفي أن يقولوها مرة واحدة، بل عليهم أن يكرروها ثلاث مرات. وهذا دليل على افتقارهم إلى الخطابة والبلاغة والشكل والمحتوى. ولكنهم بطبيعتهم مهرجون وتكرار اللفظ أو العبارة على إيقاع طبل من شأنه أن يساعد القروء على الرقص. وهذا مما لاشك فيه مظهر من مظاهر الإفلاس الفكري واللغوي. خذ أي لفظ من ألفاظهم وقله مرة واحدة بصوت عال بكل صدق وقناعة ثم قف لحظة، ثم تابع، تجد الفرق في الوقع والأثر. ولكنهم أصبحوا "كالمعلمة ماريكا" لا تكتفي بمرّة واحدة بل وجب عليها التكرار ثلاث مرات للتشفي!

⁵ الراموت: لفظ معرب للمصطلح الإنجليزي (remote control)، أو جهاز التحكم من بعد، كما يترجمونها من خلال تعريفها. وهو مشتق من الفعل العربي الأصلي (رمت): رَمَتِ الشَّيْءَ يَرْمُهُ رَمْتًا أصلحه ومسحه بيده. وقلبت الراء تاء تخفيفاً للفظ.

بالعبودية والتبعية، وكأنه النموذج المثالي في الديمقراطية والتقدم، لأن فقيهاً وغيره عجزوا عن نقل المعرفة بوضوح ودقة. وكذا الصحفي الفذ الفريد الذي كان لا يعرف الفرق بين (أقسّم) و(أقسّم) فراح يقسّم بالله ويضرب وي طرح ويجمع (ولي في الحساب عدد يجري به لسانني)، ويردد من بعده المرردون ولا يستيقظون. فذهبت قسماً. وكتلك المرأة البيونية القديرة الرائعة التي لا تعرف الفرق بين (أطل) و(أطل) فراحت تكرر (كما كنت أطل عليكم)⁶. وكذلك السياسي الفقيه الذي صرح يقول (الخاسر الأكبر في أي حرب أهلية بالعراق هم أخواننا السنة)، فعنده (الخاسر الأكبر) هو لفظ جمع فاقتضى القول (هم) إسناداً إليه بدلاً من (هو). أم أن هذا إسناد أمامي لا خلفي؟⁷ هذه فقط أمور للدلالة على المستويات اللغوية التي وصلت إليها اللغة العربية⁸

⁶ لمن يريد التعمق: طَلَّ غريمه يَطْلُهُ طَلًا مطلة، طرقة. والإبل ساقها عنيفاً. وفلاناً حقه منعه ونقصه إياه وأبطله. وبالدهن طلاه به والسماء الأرض قطرت عليها الطل. والدم طلا وطولاً هدره. وأطل يطل إطلالاً : قرب وأشرف وظهر.

⁷ طبيعة الإسناد في اللغة هي أن تسند اللاحق بالسابق من الكلام.

⁸ قد يكون من الخطأ الافتراض بأن اللغة العربية كانت على قدر من المكانة والمكانة على صعيد عام في العصر الحديث، فليس ثمة بيانات تمكننا من الجزم بذلك. ولم يكن الإعلام العربي واسع الانتشار بهذه الدرجة من الشمولية حتى يظهر العجز الفاضح والتخلف الرهيب في صفوف العامة والنخب المثقفة بشكل كبير. فمعظم النتاج السياسي والأدبي والاجتماعي والصحافي كان مكتوباً غير مسموع، فلم يكن بالإمكان تقويم تمكن الخطيب أو الموفد الرسمي أو الصحافي من اللغة العربية إلا من خلال النصوص المطبوعة في الغالب. أما الإعلام المسموع والمرئي فكانت له خصوصيته، إذ كان محصوراً في النخب المنتخبة ومغلقاً ومحدوداً لا يتجاوز الإذاعة والتلفاز الرسميين في معظم الأحيان. ولم تكن التقنيات آنذاك تسمح بما تسمح به التقنيات الحديثة من بهرج وصخب وألوان فكان التركيز على المضمون أكثر من الشكل. ورغم ارتفاع المستويات والمعايير فلم يكن ينجم من النقد والانتقاد، فكان أكثر انضباطاً وحرصاً على سلامة اللغة من إعلاننا الحديث الذي أصبح عجيبة من عجائب الدنيا في أقل من عشر سنوات، رغم التأثير المتزايد بالترجمة وأنماطها الحرفية آنذاك في جميع وسائل الإعلام والصحافة والتغيير المفتعل في الأساليب الناجم عن الالتصاق بالترجمة الحرفية الغبية والطبيعة التبسيطية التفكيكية للترجمة، كما أشرنا من قبل (أنظر المقالات السابقة)، والتي أفرزت هذه الأساليب التي راقت لهم فظنوها تجديداً بحكم الاستلاب والانبهار باللغات الأجنبية، لاسيما أولئك الذين لم يكونوا على دراية تامة باللغة الإنجليزية التي سرعان ما أصبحت تشكل المصدر الأساس لأخبارهم وتقاريرهم المترجمة، ولم يفهموا الأساليب البيانية والبلاغية في تلك اللغة وما يقابلها في العربية، فكان أي جديد تجديداً على حساب المنطق اللغوي والأساليب الإنشائية والبيانية. وما نشهده اليوم ما هو إلا استمرار للسلسل الهزلي في الترجمة على أيدي النخب المستلبة والمنهجرة والعاجزة، خلافاً للمستشرقين الذين نظروا نظرة دونية إلى نتاج الشعوب المستعمرة ولغاتها وحضاراتها، فأخذوا منها وغيروا وبدلوا وحرفوا ما شأوا فطوعها لطبيعة لغاتهم وحضاراتهم ومناظيرهم الاجتماعية والثقافية، عن ثقة وعنجهية وغرور واستعلاء، على ما في هذا النهج من خلل وضعف ولبس، فأخذوا ما رأوا فيه فائدة وأسقطوا ما اعتبروه زائداً غير نافع ودخيلاً. فقد نظروا إلى عملهم في النقل والترجمة نظرة "علمية موضوعية" ميدانية تحليلية للأثار الإنسانية ومخلفات الشعوب البائدة والأمم المتخلفة والجماعات والقبائل "البداية"، تماماً كما أخضعوا السكان الأصليين والشعوب أينما ذهبوا وأينما حلوا للدراسة والتحليل، فقاوسو جامهم وأحجامهم وجمعوا أنواعهم وعظامهم وصنفوا أصنافهم، واستمر ذلك حتى النصف الثاني من القرن العشرين. وما كادت الأمة العربية تستفيق من سباتها العميق إبان النهضة الوجيهة لتستعيد اللغة نشاطها ودورها كعنصر أساس من عناصر تشكيل الهوية العربية حتى بدأت المكائد والمؤامرات والمخططات لوأدها في مهدها، تمثلت في الدعوات المتكررة لإحلال العامية محل الفصيحة وإبدال الحروف العربية وتأصيل لغات المستعمرين كلفات رسمية، كان آخرها تبني السودان اللغة الإنجليزية لغة رسمية ثانية في القرن الحادي والعشرين، رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الدول العربية في العقود الأولى من النصف الثاني من القرن العشرين لتعزيز مكانة اللغة العربية في الدوائر الرسمية والتربية والتعليم. ويخطئ من يظن أن الاستعمار قد توقف لحظة واحدة أو انجلى عن المنطقة العربية منذ الحملة النابليونية الأولى. وما يمكن الجزم به هو أن الاعتماد على اللغات الأجنبية راح يتزايد بشكل سريع في الربع الأخير من القرن العشرين وما زال في تزايد مطرد في مطلع القرن الحالي.

قد يستدل المرء على المستويات اللغوية في تلك الفترة من مستويات البارزين والمبرزين في الإعلام والصحافة والسياسة وغيرها اليوم، فمعظم الذين نراهم على شاشات التلفزة كهول وشيوخ ما هم بشباب ولا فحول. والكهل من وخطه الشيب أو من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين. والشيخ من استبانته فيه السن أو من كان في الخمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين. فإذا كانت مستوياتهم في أرذل العمر بهذا السوء فهل تعتقدون أن مستواهم كان أفضل في مقتبله؟ أليس من المفترض أن يتحسن مستوى المرء بتقدم العمر والأعوام لا أن يتدهور ويعود القهقري؟ فحتى الضم في المضارع يأبى الخروج من فم بعضهم، فتجد

في زمن اختفت فيه المعايير والمقاييس والمستويات لا في اللغة فحسب بل في المناحي الاجتماعية والأنشطة الإعلامية والمناشط السياسية أيضاً. فقد تغير القاموس العربي وتبدلت القيم وتحولت المفاهيم. ولطالما قال الأميركيون في السائر من كلامهم (If you cannot beat them, join them.) أي (إن لم تغلبهم صر منهم)، أو كما يقولون في العامية اللبنانية (اللي ما بيجي معك روح معه)، حتى تبدلت الموازين والقيم والمعايير والمناظير وانقلبت رأساً على عقب، فصار شعارهم (If you cannot join them, beat the shit out of them.). أما العرب فقد كان في السائر من كلامهم قولهم (إن لم تغلب فاخلب)، إي إن لم تحصل على حاجتك بالقوة فخادع للحصول عليها، حتى صاروا يقولون في العصر الحديث، تماشياً مع سنة الطبيعة في التغيير والتبديل، (إن لم تغلب فاقلب) وانحن وانبطح واستسلم، وصارت العاهرة تحاضر بالعفة وتساءل: (دخلك! من نصب فلاناً حكماً علينا؟). ثم تذرف الدمع في زمن الانبطاح والاستسلام والخنوع والأوطان المواخير، وتسلسل خناجر الغدر في جنب الظلام وتكيد كيدا. وتلفتت إليك وتقول بفمها المشتور: "رجاء لا نريد تخوين أحد فهذه لغة خشبية ومن كان عدوك فهو ليس بالضرورة عدوي، ونحن في بلد واحد، واجب علينا أن نتوافق ونتعايش، فقد طاب لي العهر والفجور في زمان العاهرات الباكيات الذارفات الدموع تملقاً!" وصدق الشاعر حين قال:

وتعلم أنه عهرٌ وفِسقٌ
وزالوا دون عرضٍ يُشَقُّ
يد سفحت وفحل مُستدقٌ
ولا يديني الحقوق ولا يعقُ
ولا يبقي المدائن أو يبيقُ⁹
بكل يدٍ ملوثةٍ يُزقُ

دمُ الأحرارِ تعرفهُ ماريكاً
بلاد مات فتيتها لتحيًا
وللأوطانِ في كل فرجٍ ودبرٍ
ولا يبني الممالك كالسبايا
ولا يحمي المنازل كالبغايا
وللحريةِ الحمراءِ بارُ

مفكراً يقول (أنا احتاج) بفتح الجيم المصرية بدلاً من ضمها، وناقداً آخر يقول (كما قلت أنا لك)، بفتح تاء المتكلم الشامية بدلاً من ضمها، ومحللاً سياسياً يقول (سوف لن تسمح لهم بالعودة)، على الطريقة العراقية، فكأنه يقول (سوف لا سوف لا) أو (لن لن) لأن (لن) للاستقبال بالنفي. والقائمة طويلة عريضة تمتد على رقعة الوطن العربي كلها، ولا نستثني منها ركننا. كان لي زميل فقير في المدرسة الثانوية في بيروت، وكان موهوباً خارق الذكاء، ولكن المجتمعات المتخلفة، أينما كانت ورغم القشور التي تتستر وتتزين بها، تخاف من الذكاء لاسيما إذا جاء من الفقراء. كان يكتب منمنمات بخط نسخي جلي في وسط الصفحة، ولعله كان أول من استنبطها بهذا الشكل في العصر الحديث، فكان معلمنا الأحمق يسخر منه ومن فنه. وقد كان هذا الزميل الذي حضر سنة واحدة ثم اختفى، ملتزماً باللغة العربية لا يتحدث غيرها. فكان أضحوكة الجميع في المدرسة، مكان العلم والمعرفة، وفي المجتمع عامة، بينما كنا نتحدث ونتباهى بالحديث بلغة أجنبية، فإن تفوهنا بكلمة عربية في الحصص والفرص نلنا عقاباً قمطيرياً. خرج ذات يوم من المدرسة وأوقف سيارة أجرة قانلاً للسائق: أذهب أنت إلى البرج؟ (البرج ساحة في وسط المدينة). لاحظوا استعماله لهمزة الاستفهام. فنظر السائق الأرعن الجاهل الأمي إليه نظرة احتقار وقال له زاجراً معنفاً: ولا خرا. أختك ع أخت اللي جابك! روح ولا! وبعد تلك الحادثة اختفى ولم نسمع عنه شيئاً. وقد صدق فيه وفينا قول رؤبة بن العجاج:

عددت قومي كعديد الطيس | إذ ذهب القوم الكرام ليسي

أي غيري.

⁹ بقُ النَّبْتُ يُبْقُ بقاً طَعَّ والمرأة كَثُرَتْ أولادها والسماءُ جاءت بمطرٍ شديدٍ والرجلُ أوسعُ في العظْمَةِ. الخ. والبَقَّةُ واحدة البقِّ والمرأة الكثيرة الأولاد.

هذا خلل في الإسناد وضعف في المنطق لا يضاهيه ولا يدانيه سوى سخافة الإعلاميين والصحافيين والمراسلين الذين يؤنثون ألفاظ العدد والكثرة المذكرة (عدد، عديد، كثير)، في حركات التفافية بهلوانية انتقالية من (كثير) إلى الاسم المؤنث الذي يتبعه، نحو:

جاءت كثير من المخترعات التي اتخذت من الكمبيوتر أساساً لها...

جاءت كثير من الردود...

جاءت كثير من المبادئ التي اعتمدها برنامج العمل قابلة للتأويل لتضارب نصوصها...

جاءت كثير منها بقيم سالبة لمؤشر السعر للعائد...

مرت العديد من الانعطافات التاريخية...

حيث قال كانت هناك عدد من الإنجازات...

ولكن (كثير)، أيها الأجزاء العباقرة، لفظ مذكر، يستوجب تذكير الفعل الذي يسبقه، نحو: جاء كثير. وكذلك (عدد) و(عديد). ويتتابههم مثل هذه الخلل الفاضح في استعمال (ما) الاسمية، كما في قولهم:

وقال الجيش الأميركي إن طائراته الحربية قصفت فجر اليوم ما وصفها بمواقع يشتهه بأنها...

مشددا على استحالة حدوث تقدم دون وقف ما وصفها بأعمال العنف ضد الإسرائيليين...

وحذر الشعب الأميركي من استمرار القتال ضده ومواصلة ما وصفها بالعمليات الاستشهادية...

وقول تلك المذبة التي تنق نقيق الضفادع ويثير إلقاءها الصاعد والنازل في الكلمة الثالثة من كل جملة أو عبارة الغثيان، فتصيبنا بصداع مزمن، وتطبل وريح ومأص، فكأننا تناولنا منسف برياني، وليس المَعَصُ كالمَعَصِ. وهو أسلوب إعلامي جديد في تجسيد الكلام بالصوت والصورة يستشري في تلك الفضائية المغرورة (لاحظوا أيضاً غيابهم في استخدام الفعل الاستثنائي والتأناة الذهنية في "قال")¹⁰:

قال المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينغ الذي كسب استثناءً قضائياً ضد عقوبة بالسجن ثلاث سنوات في النمسا لتشكيكه في ما تعرف بمحرقة اليهود الهولوكوست - قال إنه يكتب التاريخ الحقيقي الموثق، لكن هذا لا يعجب كثيرين.

¹⁰ إن في الإكثار من استخدام الفعل الاستثنائي بهذه الطريقة استخفافاً بقول المشاهدين الذين لا يحتاجون إلى مذيع أو مذبة تستعمل الكابح اللفظي قبل إقلاعها بالجملة فتقلع عنها ثم تعود إلى بدايتها بلا مبرر سوى سوء القيادة، ولا إلى من يلقمهم الخير بالملقعة كلمة كلمة، وهبوطاً في مستويات الأداء الإذاعي وضعفاً في إنشاء الخبر وصياغته. أنظر مقالتي "الفعل الاستثنائي: محاسنه ومساوئه في إنشاء الخبر العربي"، نوفمبر ٢٠٠٦.

ولمن يريد التعمق فإن (ما) الاسمية تقوم مقام لفظ (الشيء)، مقدرة بقولك "الشيء"، وهو لفظ مذكر، لمن يختلط الأمر عليه. لذا، وجب أن يوافق الضمير العائد (لاحظوا أنه عائد) اللفظ المقدر بالتذكير، لا أن يوافق الاسم الذي يليه، كالاتي:

وقال الجيش الأميركي إن طائراته الحربية قصفت فجر اليوم ما وصفه بمواقع يشتبه بأنها...

مشددا على استحالة حدوث تقدم دون وقف ما وصفه بأعمال العنف ضد الإسرائيليين...

وحذر الشعب الأميركي من استمرار القتال ضده ومواصلة ما وصفه بالعمليات الاستشهادية...

لتشكيكه في ما يعرف بمحرقة اليهود الهللولوكوست...

بغض النظر عن صيغة الاستجناس¹¹ في ما يتبعه. إن كيف يشير الضمير العائد إلى شيء لم يذكر بعد؟ وكيف يعود إلى ما لم يأت بعد؟ هذا منتهى الجهل والحماقة في تلك العقول المرتجة الأحادية الخلية.

مواصلة ما وصفها بالعمليات الاستشهادية...

مواصلة ما وصفه بالعمليات الاستشهادية...

ضمير عائد إلى ما
المقدرة بالشيء

مواصلة الشيء الذي وصفه بالعمليات الاستشهادية...

ويتخطى الجهل الأخطاء الشائعة في تلك العقول الهزيلة إلى الخلط بين الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات الأصلية والموضوعة والمنقولة والمنحولة والحقيقة والمجاز والمعاني الحسية والعقلية. ثم يأتينا خرف آخر أو يأتون به في أبواق إعلامية مهمتها المتاجرة بأخبار الناس ومآسيهم ومصائبهم، ليبرر وجودهم ويجيز هذا الاستعمال ويرخص ذاك الاستخدام ويبرر ذلك التطبيق، ويشرع تلك الممارسات وذاك السلوك، ويبرر العيوب والمثالب، ويدعي أن رسالته رسالة الوضوح والدقة والعلم والحقيقة، فلا يعرف المرء ما يقوله فلان ويقصده فلان ويرمي إليه فلان، ثم يتساءلون لماذا نحن مختلفون ومتخلفون؟ وقد صار الحديث عن العيوب التي تصيب المجتمع بالخلل والضعف والتهرؤ عيباً من العيوب ومثلبة من المثالب وخطيئة من الخطايا. يركبون أنوفهم،

¹¹ Gender.

فتجد في فضائية منحازة لا ترى الأمور إلا بعين واحدة مشتورة، لو قلبت حروف اسمها في الإنجليزية لاكتشفت معانيها، صحافياً فذاً آخر لا يعرف معنى الكناية، فتسمعه يقول: ضُبطت أسلحة كناية عن ذخائر ومتفجرات، بدلاً من (عبارة عن). والكناية كلام استتر المراد منه. أما العبارة فهي دلالة الشيء على شيء مساوٍ له في الدلالة.

ويتجلى هذا الخلل في أدمغتهم المتهرئة في تعاملهم مع المترجم من المصطلحات السياسية والعسكرية والقانونية وغيرها. فتسمعهم يقولون تارة (الاستخدام المفرط للقوة) وتارة (استخدام القوة المفرطة)، بمعنى واحد، في ترجمتهم للعبارة الإنجليزية (excessive use of force) [مهلاً قليلاً]. وهنا يتنازعون ويتضاربون فيما إذا كان لفظ (مفرط) اسم فاعل أم اسم مفعول، أي بكسر الراء أو فتحها، كذاك المذيع الأحقق البليد الغبي الذي يقاطع ضيفه في كل جواب مظهرًا علمه الخارق، والذي يخالف العرف والقياس والمنطق حتى في حروف الجر، والذي طفق ولعابه يسيل وعيناه تتمان عن غباء مفرط (بكسر الراء)، وجميع حروفه حروف زلاقة¹²، فكأنه مخمور سكران، أو في فمه طقم أسنان مخلخل أو معلل، يقول (المجتمع) بكسر الميم الثانية، وهو يقصد

¹² من الغريب أن القائمين على توظيف المذيعين وتدريبهم في تلك الفضائيات المتخلفة لا يعرفون الفرق بين همزة الوصل وهمزة القطع ويصرون على قطع ما يجب وصله ووصل ما يجب قطعه وتقطع مفاصل الكلام على الطريقة الإنجليزية، توخياً للوضوح! ويسكنون كل شيء حتى جاءنا محطم الأصنام يحدثنا عن (الدكتاتوريات*) و(دكتاتوريات)، يقصد (الدكتاتوريات) و(دكتاتوريات). وفي استلابهم بأسياهم الخواجات يتجنبون ألفاظاً تحتوي على حرف السين، ذلك أن خواجة الإعلام يقول في كتابه العزيز (thou shall avoid words ending with s) فهذا الصوت لا يناسب البث الإذاعي، إذ يحدث هسهسة! ولا شك أن تلك خاصة من خواص اللغة الإنجليزية التي تجمع اللفظ بكسعه بحرف (s) كطريقة رئيسة للجمع فيها. فإذا ياحدى الفضائيات العرجاء تتجنب القول (نشرة الأخبار مستمرة) وتقول بدلاً منها (نشرة الأخبار متواصلة، ولكن بعد هذا الفاصل)! فتجد هؤلاء الأميين الجهلة لا يعرفون أن معنى التواصل هو دوام الأمر دون انقطاع، فكيف تكون النشرة متواصلة ولكن بعد هذا الفاصل؟ ثم تجد إصرارهم على نطق أسماء الأعيان والبلدان على الطريقة الإنجليزية، فتسمعهم يقولون أدس أبا، بالخطف والتر، بدلاً من أديس أبايا. فإذا كانت الإنجليزية بطبيعتها تشدد مطع الكلمات وتخطف الكلام خطفاً كأن إصبغاً يخرج من ثقب ضيق خروجاً خاطفاً، وجب على أولئك المقلدين إخضاع تلك الألفاظ للنظام الصوتي الإنجليزي والمُحن ذاته. وتختفي حروف العلة من تلك الأسماء، فها أنت تسمعها تقول بنتغن بالباء المعجمة (Pentagon) ووشنتن (Washington). وغيرهما من حماقات. فتصبح نشرة الأخبار حلبة لعرض العضلات في النطق بالأسماء الأجنبية على طريقة الإفرنج والتباهي والزهو أمام المشاهدين بالخلفيات الثنائية لا للحفاظ على مستويات ومعايير لغوية ثابتة في اللغة العربية (شوفوني يا با! أنا بحكي إنقليصي منيح)! والمصيبة الكبرى أنهم لا يلتزمون بذلك بشكل ثابت فما زالوا يصرون على أقصى درجات الجهل المجبول بالغباء والحماقة والخيلاء في نطقهم للفظ (parliament) بالباء المعجمة (p) على هذا النحو: بارلومان (وليس في اللومان بار) في منتهى التنطس الجاهل، فلا هي فرنسية ولا إنجليزية ولا روسية، كما أشرنا، بل هي لغة جديدة خصهم الله بها نحاول تعلمها ولكنها تستعصي علينا فليس فينا من الغباء والذل والمسكنة والخنوع ما يقبلها وتقبلنا. فهنيئاً لهم بهذه اللغة الجديدة المتطورة. نحن قوم متخلفون لا نرقى إلى مستوياتهم اللغوية ومهاراتهم في التعبير والتبليغ. بل هم قوم يعمهون، حتى يأتيهم صعوك أحقق آخر يبايعهم ويبايعونه ويستقبلهم ويستقبلونه ويحسبهم ويحسبونه ويتير تيرانا فيتيرون تيرانا، فوافق شن طبقاً! ولطالما كانت (Bella Russia) تعرف بروسيا البيضاء قبل قيام الاتحاد السوفياتي وبعده. فاماذا حدث بعد انهياره؟ هاكم فضائية من الفضائيات تسميها بللا روسيا، بلا سبب أو لسبب لا نعرفه. ونسمع في فضائية أخرى في نشرة أحوال جوية (ننتظر قدوم الأبيض)، تقصد (الثلج). وغداً يذوب الثلج ويظهر المرج!

ثم يعطونك شهادة حسن سلوك، فتسمعهم ينهون برامجهم بالآتي: (نشكركم على حسن المتابعة). طبعاً! لقد كنت مشاهداً مجتهداً فأعطاني مقدم البرنامج درجة عالية. ماذا أعطاك أنت؟ حري بهم أن يقولوا (نشكركم على السماح لنا بدخول بيوتكم وتقديم هذا البرنامج لكم. نرجو أن يكون قد نال إعجابكم ورضاكم، نقبل أياذكم، ونرجو أن نكون دائماً عند حسن ظنكم بنا، ونأسف لتغيبص حياتكم بأداننا المسف وإلقاننا المقيب المعيب وذذبباتنا وانحيازنا ونفاقنا وجهلنا وإدعائنا بالسعي للحقيقة في كل ثانية ودقيقة، ونأمل أن تسمحوا لنا مرة أخرى بالدخول إلى بيوتكم علنا نحظى بقدر من الرضا، الخ). ولكنهم مغرورون يمتلكهم جنون العظمة وحب الذات. وكما يقول المثل الشعبي الفلسطيني: عمرها شجرة ما وصلت لربها!

المجتمع بفتحها، ذلك أن المجتمع هو مكان اجتماع الناس والإطار الذي يجمعهم، وليس من اجتمع، أيها الفقيه الحصيف! ثم يأتينا ترجمان فوري ينقل لنا التعبير الاصطلاحي (to come to the table) حرفياً بـ(يأتي إلى الطاولة)، ولا ندري ما إذا كان يدرك هذا الأخ المسكين أن المعنى الاصطلاحي في الإنجليزية هو (الاجتماع للتباحث في حل مسألة أو مشكلة). أفمن يأتي إلى الطاولة يا صديقي العزيز يفعل ذلك؟ ما هكذا توردا يا سعد الإبل ولا تحلب الأبقار!

وفي قديمهم الجديد والمتجدد يضعوننا في الصورة، في المترجم من الكلام عن الإنجليزية (to put in the picture)، وهو بمعنى الشرح والتفسير والاطلاع والإحاطة والانخراط والإشراك في الأمر. فإذا بهواة الإعلام العربي، والصحافة والسياسيين العرب قبله، ينقلون هذا المجاز الأعوج فيصبح جزءاً من المعجم الإعلامي العربي الحديث. سوف أضعك في الصورة وفي الإطار وأعلقها في الحائط والجدار، وأحرق لك البخور! ولكنها صورة محروقة!

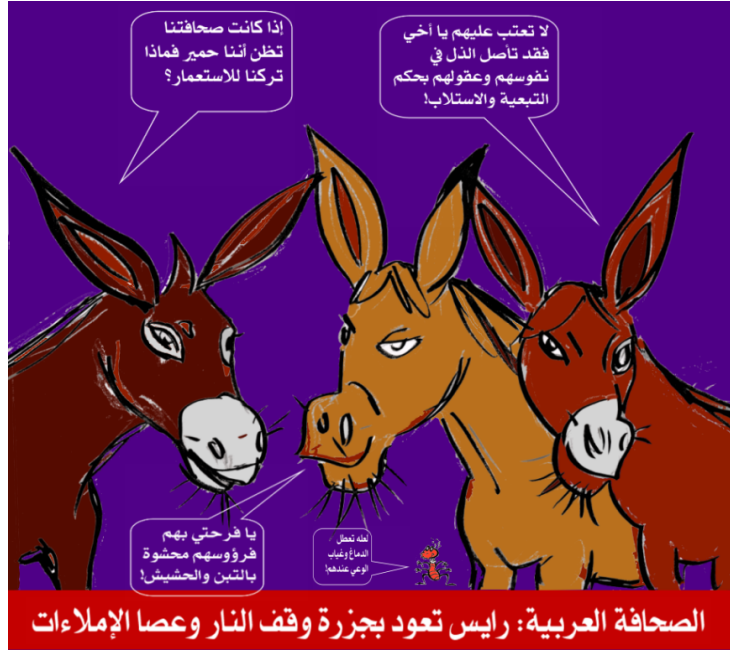
إذا ما وضعنا في الصورة المواقف الحكومية السابقة...

الاجتماع الذي استمر زهاء الساعتين وضعنا في الصورة الواضحة المتعلقة بترسيم الحدود...

وقبل المؤتمر وبعد الاجتماع الأول بين الحزبين تم وضعنا في الصورة بان هناك إشكاليات...

وما فتئ الإعلام الغبي يردد كالبيغاء (الشیطان يكمن في التفاصيل، الشيطان يكمن في التفاصيل) حتى يأتينا أحد السياسيين بإبداعه وعبقريته يقول (الشياطين تكمن في التفاصيل)، فلم يكتف بشيطان واحد بل صار عنده جوقة من الشياطين والعمالقة والأبليس. وما زالوا يخفقون في التعبير ونقل المعنى، ولا يدركون أنهم يتبنون صاغرين أذلاء تلك المناظير الحضارية الغربية عن حضارتهم وقيمهم ومبادئهم وفلسفاتهم بتعابير منقولة جوفاء تتعارض ومعتقداتهم والجامعات التي يمثلونها. ولقد برعوا وتفنونوا في تبني تلك التعابير المجازية بحرفيتها واستمتمتوا على سبيل المثال بالعصا والجزرة، كما أسلفنا في أكثر من مناسبة، وصورة الذل التي يحملها هذا التعبير المجازي الاستعلائي، فلطالما لوحت القوى الغاشمة والاستعمارية بالعصا والجزرة، ولم نجد شعوباً مستضعفة تلوح بالعصا. فمن يقبل بتلك المناظير الاستعلائية تتأصل في نفسه ووجدانه أنماط الذل والمسكنة والخنوع والاستسلام والركوع، من القمة إلى القاعدة. فإذا بالرئيس ينصاع لأوامر أسياده، وبالمرؤوس يخرج من مكتب رئيسه مطأطأ الرأس نليلاً، وإذا بالطالب يقبل ما يقوله معلمه الغبي كأنه كلام منزل لا جدل فيه ولا نقاش، وإذا بالزوجة تخنع أمام طغيان زوجها وتغض الطرف عن إساءته إليها وإلى أطفالها إن لم تشترك فيها! وكلهم يريد التحرر والتقدم والسيادة والاستقلال! فبناءً على هذا التعبير فإن الناس أجمعين حمير يحتاجون إلى عصا وجزرة! فلا يكفي الذل والمهانة بالفعل والتصرفات والسياسات، بل يجب تكريسها بالصور المجازية التي يكررها إعلامنا ومثقفونا "كالمهاويل والمساطيل، لعابهم يسيل ومخاطهم

يتقاطر على وجوههم والغباء ينتج من مساماتهم"، دون أدنى شعور منهم بالخجل أو الغرابة. فلعلهم يتلذذون ويتمتعون ويستلذون ويستمتعون ويطيب لهم الجزر!



ويلعبون دائماً لعبة القط والفأر (a game of cat and mouse)، لاسيما دعاة الإصلاح والتقدم منهم. فإذا بهم يتبنون كالمجاذيب منظوراً استعلائياً آخر يكرس الغلبة للسلطة أو لمن له الغلبة والتفوق، سواء أكان داخلياً أم خارجياً، ويقنعون بهذا الخنوع المتأصل في أعماق نفوسهم المريضة الذليلة المنبثحة. ولقد جاؤوهم بالقيم والمثل العليا ودعوهم بل حضوهم على نبذ "العنف" والسلوك "غير المتحضر"، وإلغاء النصوص "المتخلفة التي تمتهن الإنسان والمرأة والطفل"، فجسدوا في الإعلام الصورة النمطية عن العربي المهووس الذي يحمل عصاه الغليظة على كتفه ويمشي بحثاً عن طفل يضربه وامرأة ينكحها، وجعلوها حقيقة واقعة في عقول مواطنيهم. فإذا بمثقفينا وأعلامنا¹³ (بفتح الألف) يستبدلون المناظير الأجنبية بالمفاهيم العربية، فتنتهك دور العبادة ولا يبقى مقدس بمنأى عن الإهانة والامتهان. وكيف لا ومحطم الأصنام منهمك في تنفيذ الفوضى "الخالقة"¹⁴؟ قد يستفيد الظنة المتنصح، ولكن ما هم بمتنصحين ولا مستنصحين. وصدق فيهم قول الشاعر:

¹³ أي أسياذ القوم والمبرزون فيهم. من العجيب أن بعض الإعلاميين (بكسر الألف) ما يزال يصر على أحق القول (أعلام) بفتح الألف بدلاً من (إعلام) بكسر الألف، بمعنى وسائل الإعلام والصحافة. فإذا رقق الراقن الكلمة بالألف المفتوحة نطقوا بها كما هي دون أدنى شعور بالخلل والاستدراك. هناك أمثلة كثيرة تدرج في هذه الفئة من الأخطاء، نحو أحياء وإحياء. فلا قراءة صحيحة ولا صوت سليم ولا وجه بشوش!

¹⁴ لاحظوا أن هذه الترجمة للمصطلح السياسي الإنجليزي (creative chaos) تخالف في فحواها المعتقدات. فالخلق في مفهوم الحضارة العربية والشرقية يختص بالذات الإلهية. ولكن العرب بجميع شرائحهم، إلا قليلاً منهم، يكررونه ويبتسمون "كالمهايل" لاكتشاف مفاهيم الحضارة الجديدة. ونحن لا ندعو إلى التزمت هنا، ولكننا نبرز الخطر الداهم الذي يترتب بالأمة العربية من خلال تلك المفاهيم التي تدخل خلصة كاللصوص وتصيح جزءاً من وجدان الجميع. فالخطر لا يأتي مباشرة أو من خلال الماكرونلند والكوكاكولا وكليات النجوم والفضائيات فقط، بل من خلال تلك المناظير التي تتسلل إلى النفس العربية.

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً | فمطلبها كهلاً عليه شديد

ولكن زمن الخنوع يُعرف من رجالته ومما يتفوهون به. هذا زمان "العرب الجدر" (Neo Arabs)، وما هم بعرب ولا عجم ولا نجد!¹⁵

¹⁵ من متناقضات الإعلام العربي تأرجحه وتدبذبه بين نقيضين. وعندما تصاب الفضائيات العربية بجنون العظمة تفقد سيطرتها على نفسها ويفلت زمام الأمور منها وتصبح أداة طيعة في يد العاملين فيها والقائمين على شؤونها، تأخذها أهواؤهم حيثما تشاء، بينما تدعي احترام المقدسات ومراعاة المشاعر والالتزام بقضايا الأمة. وتبرز هذه المتناقضات في أبسط الأمور والرموز، كما يحدث في تقديم نشرات الأحوال الجوية. إذ تطالعنا إحدى الفضائيات كل اليوم بنشرة الأحوال الموجزة المعتادة، فتعرض فيها بإصرار صورة للكعبة الشريفة تظهر درجة الحرارة في مكة المكرمة وتعقبها مباشرة بصورة حذاء رياضي لمعلم حضاري في الدوحة، فإذا بها تجمع بين المقدسات والأحذية. فأى نفاق هذا؟ لقد قامت ضجة كبرى في العالم العربي والإسلامي مؤخراً استنكاراً لامتهان القرآن الكريم في سجون الحرية والديمقراطية الأميركية، وانفجرت الشوارع غضباً احتجاجاً على الرسوم المهينة للرسول الأعظم (ص)، وقامت تلك الفضائية بنقل هذه الردود إلينا تلعب بها على مشاعر المشاهدين وتحرض أو ربما تتسلى، لم نعد ندري. ولكن الأدهى أن تلك الفضائية ذاتها لا تتورع عن إهانة مشاهديها والنيل من كرامتهم بجمع الكعبة والحذاء في نشرة أحوال جوية واحدة. فهل نعجب إذا للغريب والأجنبي إن هو تعدد الإهانة والامتهان؟

لقد تغير وجه العالم العربي، لا خلاف في ذلك، ولكن كيف؟ ها نحن نرى مسلسل العنف والدمار والمهانة والذل والحصار والتجويع والنهب والسلب وبرك الدماء وأنهاؤها وشلالاتها (أو كما يحلو للمستلبيين باللغة الإنجليزية حمامات الدم)، والجناز والمدافن، إلى جانب عصر السرعة والألعاب الرياضية والترف والمجون وكليات النجوم. ولما كان التنوع أساس الديمقراطية ولما كانت الحرية أساس العيش الكريم ضمن نظم ضابطة فإن للمشاهد الحرية في اختيار فضائيته، فقد تغير العالم العربي ولم تعد الصور والكلمات كما كانت. ثم يتباهى أحدهم بأن مهمته تحطيم الأيقونات والشخصيات والرموز. وفي ظل هذه الفوضى المفتعلة والانحلال والتمرد على القيم والثوابت والخنوع والاستلاب وفي غياب النظم الاجتماعية والمؤسسات المتطورة تتحول الأوطان إلى مواخير. فهل يتغير العالم العربي مرة أخرى إذا أضرِب العرب عن مشاهدة التلفاز أسبوعاً واحداً فقط والتفتوا لشؤون حياتهم وعائلاتهم وبناء الأوطان بدلاً من قضاء معظم الوقت في برامج البصصة والعهر والإسفاف والتحريض المريب؟

يدعون أن ميزان التقدم في القرن الحادي والعشرين هو بناء مجتمعات المعرفة وأن إغراق المجتمع بالمعلومات أمر يكفل تقدم المجتمعات معرفياً بحيث يستطيع المواطن اتخاذ القرارات المصيرية عن حسن اطلاع ودراية ومعرفة. فإذا بالإعلام المتنور والمستنير يركز على أمور ثانوية وهامشية فتصبح محورية مركزية تصرف الانتباه عن الأمور المصيرية، فيظن الناس أنها منتشرة في أرجاء العالم العربي، فتفتتح عيون المواطنين والشباب على الأمراض والعلل النفسية المستوردة والزيف والضلال والانحراف، بينما تتأصل وترسخ نظم سياسية قشرتها حديثة ولها عفن فاسد نتن، بتأييد ودعم من دعاة التقدم والحرية والسيادة وحق تقرير المصير. فإذا بإحدى القنوات المتقدمة، على سبيل المثال، تزف إلينا بكل فرح وسرور ورطوبة خبر نجاح أول عملية في تايلاند يتحول فيها الذكر إلى أنثى! فبينما يولد الطفل في تابوت في أرض فلسطين وتوأم الطفلة في العراق بصاروخ موجه، يعلمنا الإعلام العربي بإمكان تحويل الذكر إلى إناث والإناث إلى ذكور (طبعاً، هناك نقص في الذكور والإناث في العالم العربي، والإناث يختفين فيه ويتحولن تدريجياً إلى مخلوقات أخرى بفضل جراحة الزهو والخيلاء).

في حلقة حمارية خاصة (عفوا، حوارية)، راح العجوز الخرف الهصاهص يهذي مرة أخرى، فاتهم اللغة العربية بأنها لغة البلاغة لا الفكر، في عاداته في بتر الكلام وقطع الجمل. فلعل البلاغة في نظره الضعيف تكمن في ترجمة الأشكال الأجنبية واجترار الصور والتعابير الإنجليزية، فدولة تحت الحصار) في نظره أرقى وأشد وضوحاً من (دولة محاصرة)، تخلو من البلاغة المقيتة التي تقض مضجعه وتؤرق عليه منامه، لأنها جاءت من اللغة الإنجليزية لغة الأسياد. ثم يتسافط هذا العجوز الخرف بأن اللغة العربية لغة بلاغة، وكان البلاغة قد أصبحت عيباً من العيوب إلى جانب القومية والوطنية والمقاومة والكرامة والإباء وغيرها من مبادئ وقيم ومثل عليا. ولم يدر هذا الأحمق أن البلاغة من التبليغ. ولكنه في استلابه وذله الفكري ورقه اللغوي ما زال يردد (already) هو وغيره من الألفاظ والمستلبيين في تلك المنطقة الغنية والغانية في أن معاً. وما زال هذا اللفظ يوجع أدمغة المترجمين العرب فلا يعرفون كيف يتعاملون معه. فكأن العالم كان شيئاً مختلفاً قبل (already) فلم يعد بالإمكان سوى استعمال اللفظ الإنجليزي كما هو. لقد نسفوا كل شيء في هذا الركن من العالم وكفروا بكل الثوابت والقيم لأن نفس الضعفاء قصير. ولم يعد أمامهم سوى تلك اللغة لكي يحطموها ويقوضوها ويصرفوا شبابنا عنها، فتسيطر اللغة الإنجليزية على عقولهم وألبابهم وتخرج في ألفاظهم اليومية العامية، فيصيب آلة التفكير خلل واضطراب يعوق حركة التقدم الفكري ويحبط مسيرة البناء الإنساني ومسعاها، فإذا بكل مواطن يصبح مسخاً ممسوخاً. أما أتاك حديث ذلك الرجل المسن الذي يشبه صاحبنا إلى حد كبير؟ لم يمض على وجوده في أستراليا أكثر من أسبوع وكان في مجلس بعض الأصحاب والأقارب ذات مساء، فقال لهم

ثم يتكرم علينا مرة أخرى بمائدة تفاهم: ملوخية بالأرانب وبانجان وحمص وفول وطعمية كمان، وبسلة مقترحات¹⁶، ومبنى علاقات سياسية والطابق العلوي مؤجر والطوابق الأخرى برسم العمولة

فجأة بلكنة عربية مبهمة معجمة: "بترجاكم احكو انكليزي! صار راسي بيوجعني من العربي!" إذا كان هذا هو تصرف ذاك العجوز الحمار فماذا تركتم للشباب والصغار؟

وفي حركة جديدة في تقديم الأخبار في فضائية الفضائيات، تسمع إرهابات المذيعين قبل أن تراهما العين وقيل أن يبشرا النشرة الإخبارية، فكأنهما في انتظار الوحي ينزل عليهما من سماعة المخرج في أنبيهما. (ألف لام ميم! ذلك الإعلام لا ريب فيه ضلال للناس وفسق للمشاهدين، الذين يصدقون الإعلام ومما عرضنا عليهم يأخذون!) فحتى تلك الحركات السخيفة التي نجدها في التلفاز الغربي يستوردونها بحالها مقلدين، فيطغى الشكل على المضمون. فما معنى تلك الإرهابات؟ ماذا أكلت يا سعاد؟ لا أعرف يا منير، لقد تركت الطبخة على النار فلعل زوجي يفيق ويطفئ الطباخ قبل أن يحترق البيت. ما هذه الأصوات يا تحسين؟ إنها معدتي يا سلوى! أم هو إضفاء لمسة إنسانية على صندوق الفرجة؟

ثم يضعون كرسي الضيف على مسافة نفس من المذبة المتبرجة التي تنتظر في عينيه بكل عينها كصواريخ ليزر، فيخجل منها ومن ملاحظها الهجومية التي تصرفه عما يريد قوله فتجده يشيح بنظره عن وجهها فتقع عيناه على صدرها وقد عادت للتو من عملية جراحية نفخته وعززته، فإذا بها تخفي ما حباها به الجراح واللدائن السليكونية بسترته الصوفية أو بالجراند والصحف التي تقرأها لنا امرأة ذات دل ودلال (في فضائية أخرى). "وقالت صحيفة الليموند لقد ارتفعت أسعار الليمون والبطيخ والبرتقال"، وإذا بعينيه ترسمان خطوطاً مقطعة باتجاه البطيخ والبرتقال. وتحت الشجر يا وهية! لقد كان مخرجو المسلسلات الصابونية الرخيصة في أميركا مثل (Dallas) و(Dynasty) و(Knots Landing)، يعتمدون كاميرا واحدة في لقطاتهم، فتجد الممثلين يواجهون الكاميرا وظهر الواحد للآخر، توفيراً للكلفة، فظن المشاهدون (وإن في البداية) أن الناس في تلك البلاد يتخاطبون وأدبارهم موجهة لمن يخاطبونه. وما هي الفضائيات العربية تحاول احتواء المذبة والضيف في إطار واحد، فتكاد تشم رائحة فمه ويكاد يستطيب ضوع رضابها. سؤال: إن الوضع في العراق في تدهور مستمر، ما رأيك في ذلك؟ (لعنة الله عليه! نفسة يكاد يقتلني! لم ينظف أسنانه قبل أن يدخل الأستوديو!) جواب: اسمحي لي يا أختي الكريمة (أه ما أحلى رضابها! أين زوجتي المصيبة منها!). إن العراق سوف لن (ماذا كنت أريد أن أقول؟) أممم نعممم... أآآ... ينزلق إلى حرب أهلية! (ليتني أنزلق بين نهدبها!)

ومازالت إحدى الفضائيات الكريمات تصنف البشر بين قتيل وشهيد حتى جاءها إيعاز من مكان ما أو قررت باستغلالها وجنون العظمة لديها الكف عن وصف ضحايا الأرض المحتلة بالشهداء. فإذا بها تسقط صفة الشهادة عن الأطفال الأبرياء الذين يقتلون في اقتتال داخلي، ذلك أن تلك الفضائية قررت وأصدرت فتوى وسطية بحجبتها عنهم. وحصرتها في من يسقطون ضحايا الاحتلال! فما نذب أولئك الأطفال الأبرياء؟ وإذا المؤودة سئلت بأي نذب قتلت؟ فضائية أخرى في بلد آخر تصف جميع الضحايا بالشهداء، حتى الذباب الذي يتساقط باليف باف وبايغون (بل قلها كما تقولها تلك المذبة: بايغن) يصبح شهيداً! فتجد شهيد الصحافة وشهيد الحرية وشهيد النكح وشهيد الرقص وشهيد الاختلاس وشهيد العهر وشهيد الخيانة وشهيد العمالة وشهيد البريل كريم وشهيد الشهادة والشهيد الشهيد والشهي الحي والحي الشهيد، وكلهم شهداء عند ربهم يرزقون ويلزقون!

ولم نجد مهنة أخرى تتباكي على مصائبها وتندب وتنوح وتطمخ خديها وتضرب ركبتيها كمهنة الإعلام العربي النواح. فما فتوا يذكروننا برنامجاً تلو الآخر بالمصائب والنكبات التي حلت بهم وباخوانهم وزملائهم في مشارق الأرض ومغاربها ويعرضون إحصاءات وأرقاماً وأعداداً للذين سقطوا في سبيل الحقيقة؛ هذه العاهرة التي تزيد عهراً وفجوراً، فصارت كحكاية إبريق الزيت ذات الطابع الدولي! فكان الله صنعمهم من ذهب وفضة وأحجار كريمة وجبل غيرهم من البشر بالوجل والطين (لكي لا نقول كلمة أخرى). فمن ضربكم على قلوبكم لكي تتخذوها مهنة لكم ثم تتباكون وتشكون سوء طالعكم وبختكم، "على الطالعة والنازلة"، كما يقولون؟ كفاكم نواحا!

¹⁶ وينورنا ويتقنا فيردفها باللفظ الإنجليزي (package). فكانه اسحق بن حنين أو رفاعة الطهطاوي - ذاك الأحقق المنبر الذي "أغنى" اللغة العربية بالمصطلحات والمفاهيم الحديثة و"يسرها" و"أدخل أسلوب العرض المباشر"، فانتكح عرض اللغة والفكر المباشر وغير المباشر - يرسى قواعد المصطلحات الجديدة. ولقد حاروا وداروا بحثاً عن مقابل لكلمة (package)، فقالوا رزمة وحزمة وصرة حتى رسوا على (سلة). فأصبحت نسمع سلة مقترحات وسلة شروط وسلة خيارات وسلة بطيخ. وما يحزن في هذا التخبط كله أنهم لا يستطيعون مفارقة المصادر الإنجليزية التي تطغى على عقولهم الهزيلة العليقة. ولقد نجونا من كارثة محتمة في الترجمة فيما نقله إلينا الطهطاوي (رحمه الله) بحكم عنايته باللغة الفرنسية فقط وبحكم الشبه في الاستجناس والعدد والتعبير إلى حد كبير، وبحكم ما سرقوه ونقلوه قبل ذلك من كنوز اللغة والأدب والحضارة العربية. فلو كانت الإنجليزية هي اللغة السائدة آنذاك ونقل منها لفاق معاصرنا في المهازل والأضاحك وأحدث ثورة نوعية في المعارف والعلوم واللغة والمناظير الحضارية والمنطقية ولعم مفهوم "الجزرة والعصا" و"الشیطان في التفاصيل"، و"كسر الجليد" و"عمولات فلكية"، و"الكرة في ملعب المعارضة" و"إسقاط الحكومة خط أحمر"، و"حمامات الدم"، قبل أن يتنطح بها أرباب السياسة والإعلام العربي الحديث!

والعمالة. ويكثر الخوار على طاولات الحوار، فتجدهم يكررون الخطأ تلو الخطأ، فهاهم يعودون إلى الطاولة (to come back to the table)، بمعنى استئناف المباحثات. وليس الرجوع إلى الطاولة في العربية شرطاً لاستئناف المباحثات، حتى حدا الأمر بأحدهم أن يقول (العودة إلى مائدة الحوار)، فهمس في أذنه الكبيرة الشمطاء الحمراء أحد مساعديه (طاولة يا غبي! فالمائدة هي الطاولة التي تميد بالطعام)¹⁷. ولعل ذلك الوصف أدق لهؤلاء المتخمين المنعمين الجشعين.

17 يتجاوز الغباء وقصر النظر المجالس والمحافل السياسية والإعلامية إلى المعاجم العربية المعاصرة فتجد واضعها يتبعون نهج أسياهم ومعلميهم الأجانب في الوصف وتسجيل اللغة كما تستعمل في "الواقع"، ويستشيرون المستشرقين والخبراء الدوليين في أساليب بناء المعاجم والمجامع والمكانز العربية - العربية. طبعاً! فقد حباهم الله، كما يعتقد الخانعون، بعلم ومعرفة وعقل متفوق، وجبلنا على الكسل والبلادة والاستسلام الفكري والخنوع الذهني وانتظار الخواجة ببعض بعضاً كي يعلمنا كيف نفكر ويحملنا على العلم. فإذا بهم يصفون طابعاً رسمياً على الحماقات التي دخلت اللغة في الأصل من خلال الترجمة الأكثر حماقة وغباء على أيدي أدمغة مشطورة وعقول موتورة ونفوس مريضة، وإذا بالطالب والدارس والباحث الذي يريد التحقق من كلمة أو عبارة أو مصطلح يجد ضالته في تلك القواميس الموبوءة دون علم بأنها قواميس تجمع الغث والسمين والصالح والطالح وقاذورات الإعلام والسياسة والنخب المفكرة المستلبة والمناظير الحضارية الغربية التي تتنافى وأبسط المبادئ والقيم، وتدرجها في متونها دون إشارة إلى أنها من المستورد الغث من الكلام، فيتلقها الأغرار والفضائل والصناديد والعباقرة والعرب الجدد (Neo Arabs) دون سؤال. ونحن هنا لا نفتري على أحد، فما هو أحد الناشرين المرموقين يقول في إحدى أضلاع الكسوة الواقية لأحد القواميس: "طبع ٣٢ صفحة [من الكتاب]، وزعت نسخاً منها على كبار المستشرقين والأساتذة من أبناء البلاد العربية العاملين في مجالات اللغة الأجنبية [ما علاقة قاموس عربي - عربي باللغات الأجنبية؟] والعربية، وتكرم الأساتذة والمستشرقون الكرام [لم يعد يفصل بينه وبين الأرض إلا بضعة مليمترات] بإعادة تعليقاتهم البناءة والمشجعة [يقصد: constructive and encouraging feedback]. وقد تكرم المرحوم مؤلف هذا الكنز بتطبيقها بعد الدراسة [You wanna bet?] على مخطوطته...". يبقى علينا أن نقوم هذا الكتاب الذي أخذ فيه مؤلفه ونشره بملاحظات أولئك العباقرة المستشرقين الخارقين الأفاضل، لنحكم على خواص استعماله وجودة تصميمه وسهولة استخدامه أو صعوبتها (وهي الأرجح هنا) من واقع بيئة الاستخدام المفترض لا من واقع نظريات خواجات معرفتهم باللغة والحضارة منقوصة ونوايا بعضهم، إن لم يكن أكثرهم، مشبوهة، فما كل بيضاء بشحمة، ولكن من ير الزبد يخله من لبن. أما رأيت كيف لم يأل وأضعو القواميس في عصر النهضة الأولى جهداً في رد الألفاظ العربية إلى أصول أجنبية، حتى يفرغوا الحضارة والفكر العربي من كل شيء أصيل ويظهروا العرب بأنهم مجرد نقلة ومقلدين قروء ومرجمين رديئين، تماماً كما يحاول "العرب الجدد" إفراغ منجزات الشرفاء من أي محتوى بعصبيتهم وطائفيتهم ومذهبيتهم وعمالتهم في زمن العهر والفجور والانغلاق والتزمت؟

ولقد أدهشني أن أسمع أحد العلامات الكبار، الذي كنت أكن له الود والاحترام دون أن أعرفه، من خلال نتاجه وتعمقه في اللغتين العربية والإنجليزية، في برنامج البيض المسلوق، وهو يقول إن أصل لفظ (قنبلة) غير عربي. وقد جانب الصواب في ذلك. والقنبلة في الأصل الطائفة من الناس ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين (انظر المعاجم القديمة). ولقد اختلط الأمر عليه والتبس فظن أن لفظ (قنبلة) تصحيف وتحريف للفظ الإنجليزي (cannonball)، رغم أنه لم يذكر ذلك. ولكنه اتجاه ومنحى معروف (لأسيما إذا نطقها على طريقة تلك المذبة الملاء: كنبل). فحتى المنجد المعروف بهذه النزعة في رد الكلمات العربية إلى أصول أجنبية، لم يأت على ذكرها. ولا يهم من أين أتت. المهم أنها أخضعت للنظام الصوتي العربي. ولكن السخيف هو إظهارها على عجل وخارج سياق الدراسة وكأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى الكلمات والمفردات. ولم يدر صاحبنا المضيف مثلاً أن كلمة (molt) في الإنجليزية، التي تعني سقوط الشعر والريش في الحيوان والطيور، والتي يردها المعجم الإنجليزي إلى أصل لاتيني هو (mutate) بمعنى التغير والتحول، هي في الأصل من اللفظ العربي (ملط)، ملط الحائط يملطه ملطاً طلاءً بالملاط. والشعر حلقه والولد أمه ولدته لغير تمام. وأملط الناقة جنينها ألقته ولا شعر عليه. الأملط من لا شعر على جسده كالأمزط. وكما يقول الإنجليز (So bloody what! Big deal! Whoopee do!). وهل يدري صاحبنا أن جزيرة مالطا سماها العرب كذلك لأن تضاريسها ملطاء، أي لمساء، وجبالها مسطحة؟ ثم تأتينا تلك المذبة الملاء مرة أخرى وتقول لنا مولطا على الطريقة الإنجليزية ومولطيزي! فلعلنا نجد كتاباً جديداً بعنوان (تلخيص الإنجليز في تضاريس مالطيز!) أما حمقاء بنت جحش في الفضائية ذاتها فتسأل تساولين اثنتين في ما وراء الكون، وهي تقصد تتساءل تساولين أو تسأل سؤولين. ولكن "ع بال مين ياللي يترقصي بالعتمة!"

أما عن التعبير الإنجليزي (excessive use of force) فهو طريقة اللغة الإنجليزية في التعبير عن الإفراط في استخدام القوة. وتعبّر عن هذا المفهوم بطريقة أخرى (use of excessive force)، ويترجمونه بـ(استخدام القوة المفرطة). ولكنّ معناه وتطبيقه مختلفان. ويتضح لنا مصدر الخلل في اللغة العربية والالتباس فيها من اختلاف المصطلحين في اللغة الإنجليزية في المبنى والمعنى. تأملوا الأمثلة الآتية من مصادر متفرقة.

المثال الأول:

Excessive use of force takes a serious toll on the individuals involved. Both police and community members can be injured or killed when incidents escalate into unnecessary violence. Every year, members of the police and public sustain injury or lose their lives when officers resort to brutality. This is reason enough for police executives to seriously consider any strategy for reducing the excessive use of force.¹⁸

المثال الثاني:

Earlier this year, in the context of its concerns about deaths during forcible deportation operations under police escort and persistent allegations of use of excessive force and degrading treatment during such operations in Switzerland, Amnesty International called on all cantons to review police restraint techniques as well as relevant guidelines and training for police and medical personnel.

المثال الثالث:

Past cases show that Governments that resort to excessive use of force and indiscriminate repression when countering terrorism risk strengthening the support base for terrorists among the general population. Such measures generally invite counter-violence, undermine the legitimacy of counter-terrorism measures and play into the hands of terrorists. I therefore call on Governments to avoid excessive use of force and to comply with international human rights law.¹⁹

ووجدناه مترجماً كالآتي:

ويتبين من الحالات التي حدثت في الماضي أن الحكومات التي تلجأ عند مواجهة الإرهاب إلى الاستخدام المفرط للقوة وعمليات القمع العشوائية إنما تغامر بتعزيز القاعدة الشعبية العامة التي تؤيد الإرهابيين. فهذه الإجراءات بصفة عامة تدعو إلى العنف المضاد، وتقوض شرعية التدابير التي تتخذ لمكافحة الإرهاب، وتصب في صالح الإرهابيين. ولذا، فإنني أهاب بالحكومات أن تتحاشى الاستخدام المفرط للقوة وأن تمتثل للقانون الدولي لحقوق الإنسان.²⁰

¹⁸ Men, Women, and Police Excessive force: A Tale of Two Genders. A Content Analysis of Civil Liability Cases, Sustained Allegations & Citizen Complaints.

¹⁹ <http://www.un.org/unitingagainstterrorism/chap2.htm>

²⁰ <http://www.un.org/arabic/unitingagainstterrorism/chapter2.html>

المثال الرابع:

Amnesty International believes that those detained may be prisoners of conscience, detained solely for the peaceful exercise of their internationally recognized right to freedom of expression and association. If so, they should be released immediately and unconditionally. Amnesty International is also calling for a prompt, thorough and impartial investigation into the excessive force used against the demonstrators. Anyone found responsible for abuse should be brought to justice promptly and fairly.²¹

ووجدناه مترجماً كالآتي:

وتعتقد منظمة العفو الدولية أن المعتقلين ربما يكونون من سجناء الرأي الذين اعتقلوا لمجرد ممارستهم السلمية لحقهم المعترف به قانونياً في حرية التعبير والاشتراك في الجمعيات. فإذا كان الأمر كذلك، ينبغي الإفراج عنهم فوراً بدون قيد أو شرط. كذلك تدعو منظمة العفو الدولية إلى إجراء تحقيق سريع وشامل وحيادي في استخدام القوة المفرطة ضد المتظاهرين. وينبغي تقديم أي شخص يتبين أنه مسؤول عن الانتهاكات إلى العدالة بصورة سريعة وعادلة.²²

إليك أمثلة أخرى:

تدين بشدة استخدام تلك السياسات المتعلقة بإعادة ملتمسي اللجوء أو الأشخاص الذين ليسوا في حاجة إلى حماية دولية التي تعرض للخطر بشدة سلامتهم المادية وتكرر مجدداً في هذا الصدد أنه بصرف النظر عن وضع الأشخاص المعينين، فإن العودة يجب أن تتم بطريقة إنسانية وباحترام التام لحقوقهم الإنسانية وكرامتهم ودون اللجوء إلى استخدام القوة المفرطة؛²³

صعدت قوات الاحتلال الإسرائيلي من استخدام القوة المفرطة والقوة المميتة..

تعرب المنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن إدانتها لاستمرار قوات الأمن استخدام القوة المفرطة في قمع المتظاهرين من المتضامنين مع القضاة وإلقاء القبض علي العديد منهم...

Armed police units continued to use excessive force with impunity. Government investigations into reported ill-treatment or extrajudicial killings were hampered by a lack of cooperation from some officers. Four men were shot dead during a police operation in June against anti-government protesters in circumstances suggesting excessive use of lethal force.²⁴

ووجدناه مترجماً كالآتي:

²¹ www.amnesty.ca/resource_centre/news/view.php?load=arcview&article=3524&c=Resource+Centre+News

²² <http://ara.amnesty.org/library/Index/ARAMDE130662006?open&of=ARA-IRN>

²³ www.unhcr.org/admin/articles/Content.doc

²⁴ <http://web.amnesty.org/web/ar2002.nsf/asa/papua+new+guinea?Open>

استمرت وحدات الشرطة المسلحة في استخدام القوة المفرطة وهي بمنأى عن العقاب والمساءلة. وكان من شأن عدم التعاون من جانب بعض الضباط أن يعوق التحقيقات الحكومية فيما ورد من أنباء عن المعاملة السيئة وأعمال القتل خارج نطاق القضاء. ففي يونيو/حزيران، أُردى أربعة أشخاص بالرصاص خلال عملية للشرطة ضد متظاهرين مناهضين للحكومة، وذلك في ملابس تنم عن الإفراط في استخدام القوة المفضية إلى الموت.²⁵

ولا شك أن هناك فرقاً كبيراً في المعنى والاستخدام والتطبيق والتعريف القانوني بين (excessive use of force) (الاستخدام المفرط للقوة) و (use of excessive force) (استخدام القوة المفرطة). فالمصطلح الأول ينظر إلى (القوة) بوصفها محددة مطلقة يخضع استخدامها للمتغيرات والنسبة. ويستخدم للدلالة على درجة كبيرة من القوة. أما المصطلح الثاني فينظر إلى (القوة) باعتبارها متغيرة من حيث المقدار والشدة ودرجة العنف. وهو يعني في سياق الكلام عموماً العنف عينه. ويُعرف بأنه استخدام لأي قوة أكثر مما يتطلبه الموقف. إليك التعريف الآتي:

*Use of excessive force means that police applied too much force in a given incident, while excessive use of force means that police apply force legally in too many incidents.*²⁶

ولكن الدقة والوضوح لا تعنيان من يريد (تدوير الزوايا)، سواء أكان ذلك في الإعلام أم في السياسة. ففي هوسهم وتقليدهم الأحمق راحوا كالمسعورين يسعون إلى تدوير الزوايا (rounding corners)، وقد أصبحوا كلهم مهندسين مدنيين.

وهذا ما يجعل مهمة «تدوير الزوايا» التي يسعى إليها بري صعبة ومحفوفة بالمخاطر. معتبراً أن "تذرع السلطة ببدعة تدوير الزوايا ودفع البلاد إلى أزمة حكومية، سيكون من تداعياته تأجيل الانتخابات النيابية لتبديد كل الزخم الحالي الداعم للمعارضة".
وعبارات تدوير الزوايا وكسب الوقت في انتظار ضوء أخضر خارجي تدفع البعض إلى الجنوح نحو التشاؤم.
موسى الذي يحاول تدوير الزوايا ويقارب الحل وفقاً لصيغة لا غالب و لا مغلوب، حاول أن يعكس جواً إيجابياً بعيد لقاءه النهاري مع الرئيس بري.

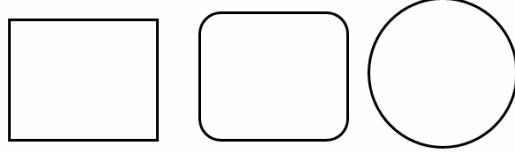
ويقدم لنا الكاتب الآتي تعريفاً فلسفياً لهذه البدعة:

وعليه فإن الأجدى هو تدوير الزوايا، أي سعي كل الأطراف المتقابلة حول المسألة، إلى الاقتراب من بعضها بعضاً في منطقة الوسط، الذي هو في التعريف العلمي: الجمع بين حقيقتين أو حقائق أو بين حقين أو حقوق من دون إلغاء أو تليفيق، على أساس أن الحقيقة مركبة، ومن أجل رؤيتها كاملة أو رؤية أوسع مساحة من الأجزاء التي تتركب منها، فلا بد من أن ترى ما عند الآخر منها.

²⁵ <http://www.amnesty-arabic.org/air2002/text/asa/papua.htm>

²⁶ www.ojp.usdoj.gov/bjs/pub/pdf/ndcopuof.pdf

ولا أظن هذا التعريف "العلمي" للمجاز في بلد كل طرف من الأطراف فيه "يشد اللحاف صوبه" هو تعريف صحيح. فتدوير الزوايا هو التخلص من نتوءات حادة في أجسام تشكل في علم السلامة والأمان خطراً على الناس، الخ. ولا علاقة له بتقريب وجهات النظر وإزالة الفروق والخلافات وتحويل المربع إلى دائرة. وما نشهده في حواراتهم وحواراتهم ما هو إلا "تزووية الدوائر"!



تدوير الزوايا؟

ولا ندري فيما إذا كان هذا هو مصدر البدعة العربية لدى السياسيين العرب (من أي صناعة أتى)، أم هو التعبير الاصطلاحي في اللغة الإنجليزية (to round a corner) بمعنى الالتفاف والدوران حول منعطف أو مستديرة (أو دوار) والانتقال إلى الجانب الآخر، وبذلك يحدث الاقتراب والتقارب! فإذا كان المصدر الثاني فنقله بتدوير الزوايا أمر مخيف! ولقد صدق الشاعر حين قال:

Round corners do not a circle make,
Nor black robes a tuxedo!

المشكلة أن هذه المصطلحات تدخل اللغة العربية من ثلاثة أبواب رئيسة: الإعلام والسياسة والأمم المتحدة. أما الباب الأول فقد أفضنا واستفضنا في إظهار عيوبه ومثالبه، والثاني قد يحتاج إلى مجلدات ومجلدات. أما الثالث فحدث ولا حرج، فما يقترفه المتخصصون العرب في هذه المنظمة المترهلة من فضاءات وفصائح في نقل المعارف والعلوم أمر يدل عليه نتاجهم وتعاييرهم. وما يتناهى إلينا من تقارير ودراسات تقشعر له الأبدان، فهناك من العاملين من مترجمين ومراجعين ومحررين من لا يفقه شيئاً كثيراً في اللغة الإنجليزية (اللهم إلا hello و good morning و how are you)، على نمة زملائهم، وما يعرفه عن اللغة العربية أمر مشكوك فيه أو في جله معجمي غريب يحتاج القارئ إلى تخصص فيه، حسبما نراه من نتاجهم. فبينما يقوم عملهم "الأممي"²⁷ على التواصل بين البشر نجد لهم لغة مختلفة تستغل على من يريدون التواصل معهم. ورغم هذا تجدهم يصدرون إلينا تفاهاتهم وأخطاءهم وحمقاتهم في الترجمة. ثم يتربعون على عروشهم وينظرون ويحاضرون فينا. فما أنت تقرأ لهم (زراع طويلة للخير) و(نهج التركيز المحلي)، و(عالم متحرر

²⁷ من الطريف في هذا اللفظ أن استخدامه بهذا المعنى، أي ما له علاقة بالأمم المتحدة، نحو قرار أممي وبرنامج أممي، كان محظوراً إبان الحرب الباردة، فقد كان ينسب إلى الفكر الشيوعي والاشتراكي. أما اليوم وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وتغير المنظر السياسي والاقتصادي في ما بقي منه وما يعرف اليوم بروسيا، فقد أصبح استخدامه لا يعيب القائمين على أمور الترجمة والتحرير لا في دهايز الأمم المتحدة ولا في الإعلام العربي الفريد. وهو مثال جيد على مداورة المصطلحات واجترارها. وبينما لا يجد هؤلاء النقلة حرجاً في ذلك، تجدهم يترددون في اللجوء إلى كنز اللغة العربية ويمتنعون عن استعمال القديم من الألفاظ بحلة جديدة ومعنى جديد.

من الجوع) (حتى كلمة free تسبب مشكلة عندهم)، و(التصاح) بمعنى (sanitation)²⁸ و(الجندرية) مقابل (gender) و(الجندرية)، وهذا مصطلح تلقفته وزارات التربية في بعض الدول العربية واعتمده في مناهجها ومساقاتها وبرامجها التربوية. ونسي الأغياء أن "الجندرية هي تمرير القلم على ما درّس من الكتاب وإعادة الثوب وشيء بعد نهاب، فكان تثبيت الهوية الجنسية كرسّم الحروف المنسية".²⁹ ثم يتحفظوننا بمصطلح (الجنسانية)، بالمعنى ذاته (gender) أو بمعنى (sexuality)، حسب ميول المترجم والمحرر والمراجع وأهوائهم ونزواتهم!

Gender mainstreaming was established as the key strategy to promote gender equality and the empowerment of women at the Fourth World Conference on Women (FWCW) in 1995. The Beijing Platform of Action which was adopted thereafter articulated the strategy which has since become widely accepted.

ترسخ تعميم المنظور الجنساني كإستراتيجية رئيسية لتشجيع المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة، في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة المعقود في عام ١٩٩٥. وشرح منهاج عمل ييجين الذي اعتمده المؤتمر بعد ذلك الإستراتيجية التي لاقت، منذ ذلك الحين، قبولا واسعا.

ولا يستطيع المرء، مهما تبلغ قدرته على الفراسة وفك الطلاسم والرموز، أن يفهم النص العربي وفق ما جاء في النص الإنجليزي الأصلي. فهل يعني (المنظور الجنساني) (gender) أو (sexuality) أو (sexual orientation) أو أي شيء آخر لا نعرفه؟ لو قارنا هذه العبقرية في النصوص العربية بالترجمة الفرنسية للموضوع ذاته لوقفنا على الآتي:

L'intégration d'une démarche d'équité entre les sexes a été érigée en stratégie essentielle pour promouvoir l'égalité entre le sexes et la démarginalisation de femmes lors de la quatrième Conférence mondiale sur le femmes en 1995. Le Programme d'action de Beijing adopte ultérieurement a énoncé plus précisément cette stratégie, qui a été depuis lors largement acceptée.

فكما ترون، لم يجد المترجم الفرنسي الأبّي الواثق من نفسه ذو الموروث الاستعماري، حرجاً في نقل مفهوم (gender) إلى الفرنسية في هذا السياق بالإنصاف بين الجنسين. أما المترجم العربي فالتزم بحرفية الشكل متجاوزاً المضمون وضارباً بمبدأ الوضوح عرض الحائط! ولا شك أنه يعاني

²⁸ قد يكون هذا بتأثرهم بأشكال اللغة الفرنسية. ولكنه خير مثال على طغيان الشكل على المضمون. وتصاح على زنة تفعال الذي يفيد الكثرة، كما في ترحال وتسفار. فهل في لفظ (sanitation) كثرة الصحة أم طلبها وإجراءاتها؟ الاستصاح؟ ولكن ليس من الضروري الالتزام بلفظ مقابل لفظ. بيد أنهم يتوهمون ذلك، حتى رحنا نسمع الإعلام يقول: أحدث ثقباً، في ترجمة ذليلة بانسة خنوع ل (make a hole). وما الثقب إلا في عقولهم. ولقد أنعمت اللغة عليهم بالفعل (ثقب)، وكان حرياً بهم القول: يثقب ثقباً. ولكن الحمقى ارتضوه لشيء آخر.

²⁹ انظر "الترجمان الصغير والترجمان الكبير" للمؤلف، ٢٠٠٥.

المرض ذاته في تضخم الذات وأبي قرق الذي يعانیه العاملون في الفضاءات العربية، فيطغى الشكل على المضمون (قضى، صدقية، جنسانية). وعليك أن تمسك نفسك ثلاثة أيام بلا رغيف ولا كنيف حتى تستطيع تخريجها كأنك معلم سامورائي (Samurai)! فلم يعصر المترجمون العرب الأمميون الذين يتبحون بتمكنهم من ثلاث لغات (على الأقل) أدمغتهم لاستنباط وابتداع (الجنسانية)؟ أليس هذا إذاً دليلاً على المرض العضال المزمّن الذي يتمكن من وجدان المترجمين العرب أينما كانوا وفي أي وضع أو منظمة أو مؤسسة وجدوا ولم يتواجدوا؟

نحن هنا لا نتجنى على أحد ولا نستفرد منظمة أو دائرة أو شعبة بعينها، وما نعرض له مرض يجتاح الأمم المتحدة بأسرها، باعتراف القائمين على شؤون الترجمة العربية أنفسهم. ولو كان الأمر محصوراً خلف جدران تلك المنظمة لما ألقينا بالأل. جاء في قرار اتخذته الجمعية العامة في دورتها الرابعة والخمسين في ٢١ يناير / كانون الثاني ٢٠٠٠، بشأن الترجمة الحرفية في الوثائق العربية النص الآتي (كما ورد في الوثيقة الأصلية بالعربية):

١٠ - تلاحظ مع القلق كون بعض الوثائق الصادرة باللغة العربية تميل إلى إتباع نمط ثابت يتمثل في الترجمة الحرفية المفرطة، بالتركيز على المفردات لا على مضمون النص باللغة الأصلية، وتطلب إلى الأمين العام أن يضمن تصحيح هذه الحالة؛

١١ - تطلب إلى الأمين العام أن يضمن أن تكون الترجمة، كمبدأ، معبرة عن خصوصيات كل لغة؛

١٢ - تطلب أيضاً إلى الأمين العام، من أجل زيادة تحسين نوعية ترجمة الوثائق الصادرة باللغات الرسمية الست، أن يضمن وجود حوار مستمر بين موظفي الترجمة التحريرية وموظفي الترجمة الشفوية، وبين مقر الأمم المتحدة في نيويورك وجنيف وفيينا ونيروبي، وبين شعب الترجمة والدول الأعضاء فيما يتعلق بتوحيد المصطلحات المستخدمة؛

١٣ - تطلب كذلك إلى الأمين العام أن يضمن إطلاع الدول الأعضاء بصورة دورية على المصطلحات المستخدمة، وذلك باعتبارها الجهات الرئيسية التي تستخدم وثائق الأمم المتحدة؛

١٤ - تقرر إبقاء المسألة قيد النظر من خلال إجراء مشاورات مع الدول الأعضاء المعنية.

بغض النظر عن ركافة الأسلوب في البنود السالفة وأثر الحرفية في الترجمة والتراكيب الإنجليزية المكسوة بالحروف العربية (مثلاً، هذه عبارة لا يمكن أن تصدر إلا عن الأمم المتحدة: "تلاحظ مع القلق كون بعض الوثائق الصادرة". الواقع أن القلق غير رأيه وتخلي وتركهم يلاحظون وحدهم)،

فإن هذه الوثيقة تظهر تنبه بعضهم إلى المشكلات التي تتسبب فيها الترجمة الحرفية في الأمم المتحدة وما بعدها.

ولا شك أن هذه أمور بسيطة قد لا تستدعي الوقوف عندها لولا خطورتها على المنطق والفكر وآليات التفكير عند العرب المعاصرين. فهذا صيدلي يمزج عقاراً فيسمم زبونه وتلك طبيبة تشخص مرضاً فتقتل مريضها وذاك مهندس يصمم بناءً فينهار على من فيه. وكلهم يمارس عمله بشكل منطقي وطبيعي.

وهنا لا بد من الوقوف عند كلام قاله أحد السياسيين المتسلقين العرب مؤخراً في حديث بالإنجليزية لقناة أجنبية تعليقاً على خطاب أشرف رجل عرفته الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين. فقد قال بكل انفعال وحماقة: (*he lost his nerves³⁰), مترجماً قوله عن العربية بالعامية (فقد أعصابه)، فأبلغ هذا المتحذلق المندمح الأحقق الرعديد الذي يخيف نفسه وهو أمن القناة الإخبارية الأجنبية، من حيث لم يدر، وقد يضطر العير والمكواة في النار، ما مفاده أن الرجل قد فقد رباطة جأشه (he lost his nerve)، باللفظ المفرد (nerve) وجوباً على التقريب حتى يستقيم التعبير في الإنجليزية. وهو بالفعل يقصد (he lost it)، أي فقد رشده وصوابه والسيطرة على نفسه! هذا دليل آخر على العلل الفكرية واللغوية عند النخب السياسية المستنخبة المستعبدة المستزرقة على حساب شعوبها. وصدق الشاعر حين قال:

يسوسون الأمور بغير عقل | فينفذ أمرهم ويقال ساسة³¹

هذه أمور "ترد إلى السطح"، كما وردت على لسان أحد الرواة في برنامج وثائقي. كل لغات العالم، حتى لغات الشعوب البدائية، تلتزم بشروط المتلازمات والمتصاحبات من الكلمات، إلا اللغة العربية المعاصرة على أيدي أولئك الأميين. والمتلازمات هي في الأصل **علاقة المجاز بالمجاز** بين الكلمات، وغايتها ضبط الكلام والمعاني. لذا قال العرب (عقد اجتماعاً) لعلاقة مشابهة مجازية بين (العقد) و(الاجتماع). ولم يقولوا في جماع أحلامهم وسورة خيالهم (ورد إلى السطح) بمعنى ظهر وطفأ، لعدم وجود علاقة مشابهة بين (ورد) و(السطح). فأصل المعنى في (ورد): **ورد البعير وغيره الماء يردّه وُرداً وبلغته وداناه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه وقد لا يحصل. أما (السطح) فهو: ظهر البيت وأعلى كل شيء، وهو معروف. فكيف يرد إلى السطح؟**

³⁰ هذا التعبير غير موجود في الإنجليزية، ولا يؤدي المعنى الذي قصده صاحبنا المعتوه في الإنجليزية. بل يؤدي معنى آخر بعد إسقاط علامة الجمع في كلمة (nerves) وجوباً، وهو كما بينا في النص (فقد رباطة جأشه، جبن)، ويسقط منها الضمير العائد في الغالب. أما من يصاب بالاضطراب والتوتر والعصاب فتعبر اللغة الإنجليزية عنه بكلمة (nerves)، نحو: (an attack of nerves). و(a bundle of nerves)، الخ. أما فقدان الأعصاب على الطريقة العربية، وعدم السيطرة والتحكم في التصرفات والعواطف وغيرها، فتعبر الإنجليزية عنه بـ (he lost it)، بمعنى أن يتملك المرء غضباً جامحاً يفقده صوابه.

³¹ المعري.

ودون الاستطراد أكثر والخوض في متاهات الجهل والأمية لدى النخب المثقفة العربية في اللغتين والخلل المنطقي الضارب في جذورهم الإبداعية، فمن الواضح في ترجمتهم لعنوان الكتاب أنهم لم يفهموا الناحية البلاغية في النص الأصلي ولم يدركوا الناحية البلاغية في الجملة التي اختاروها ترجمة له. فقد أخفقوا في نهجهم الحرفي الفسيفسائي المقيت في نقل المعنى المقصود. فكارتتر في اختياره للعنوان في الإنجليزية لم يكن يصف في جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر فلسطين بأنها **سلام لا فصل عنصري**، (فلسطين سلام لا فصل عنصري)، بل يقصد أن فلسطين لا يستقيم لها وضع إلا إذا كانت وطن سلام وليس فصلاً عنصرياً! أما الترجمة العربية فهي عكس ذلك تماماً، تناقض ما يطرحه ويعرض له وينادي به كارتتر في كتابه، إذ أنها تقرّر أمراً مفاده أن فلسطين هي (الآن) بلد سلام لا بلد فصل عنصري. فـ (فلسطين سلام لا فصل عنصري)، جملة اسمية أصلية. وفائدة الجملة الاسمية ثبوت شيء لشيء وتقريره، نحو قولك: الطقس جميل والعلم مفيد، وفلسطين سلام، وفلسطين لا فصل عنصري. ولقد كان حرياً بأولئك المترجمين أن يترجموا العنوان كالاتي:

فلسطين: سلاماً لا فصلاً عنصرياً

منصوبةً على فعل محذوف (لتكن) أو (أطلبها) أو (أعنيها)، حتى تستوفي المعنى المقصود في الأصل. فكارتتر لم يكن يقرر حقيقة واقعة بل يتمنى ويطالب! وهذا هو عين الصواب!

هذه المشكلة مستعصية لدى العرب، سواء أكانوا مترجمين أم إعلاميين أم سياسيين. سطحية في النقل والفهم والاستيعاب وهمجية في التعبير، تدل على مصادر الكلام بل تؤشر كما صار المسعودون يقولون هذه الأيام. فكل شيء عندهم يؤشر ولا يشير³² ويدل ولا يدل. فقد قام أحد المجازيب في الإعلام والصحافة بالوقوع، وهو سكران حشاش مخمور مضروب على قلبه وبصيريته، على الفعل الإنجليزي (point) أو (point out)، فترجمه لنا بـ (أشّر) فراح الجميع كالمجانين يرددون ذلك في كل ما يقتضي الكلام الإشارة أو الدلالة. ولم يدر صاحبنا بانغماسه في حرفية النقل والعامية وذوقه الرفيع أن الفعل (أشّر) معناه: شققه وحزّزه ورققه فتأشّر.

ومن الواضح أن الإعلام العربي يأخذ إشارات وإيماءاته وتعليماته من نموذج واحد متأثر متأثراً كبيراً بالأنماط والأساليب الأجنبية في الإنشاء والمصطلح والعبارة. ولكنهم تلامذة خائبون ينحصر تفسيرهم لتلك التعليمات في السطحي منها والانبهار والاستلاب. فإذا نصحهم أساتذة الإعلام الخواجات بتجنب أفعال الشرط، أسقط النجباء حرف التحقيق (قد) ظناً منهم أنه يعني الإمكان والاحتمال في جميع الأحوال. وإذا أشاروا عليهم باعتماد الشمولية في الإنشاء، أخفقوا في المسند والمسند إليه. وإذا تمنوا عليهم اعتماد الجمل القصيرة والبسيطة، وتجنب الروابط النحوية، أسقطوا حروف العطف فصار كلامهم مقطعاً مجزأً ثلاثي الكلمات يفتقر إلى التعاطف

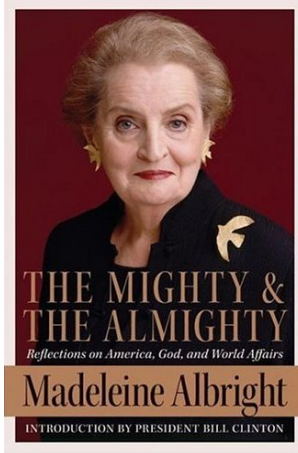
³² أشار إليه وعليه بيده وبعينه وبحاجبه أوماً.

والحكمة وراحوا يكثر من الإضراب الاستثنائي تعويضاً. والتزموا بكل هذه التعليمات وغيرها إلا فيما يتعلق بعبارة (في هذه الأثناء)!

ولا يستطيع المرء الامتناع عن تسجيل الملاحظة ومقاومة إغراء التعليق على مرض نفسي مزمن عند المثقفين العرب. فهي هو المهلهل الخرف مرة أخرى يطعم كلامه العربي العامي لفظاً إنجليزياً وهو يتحدث عن أحد القادة العظماء العرب الغابرين بأسلوب سخي يكرر الكلمة والعبارة أكثر من مرة ويردها بما يثير الغثيان ويبعث على القبي، فإذا بالخرف يقول إلى جانب (revelation) وألفاظ إنجليزية أخرى، وبالعامية طبعاً، "كان أوف"، فنظن للوهلة الأولى أنه يقصد اللفظ العربي المشتق من الألفة. ولكننا نستدرك مما يتلو ذلك أنه كان يقول (aloof)، أي (متوحد، منفرد بنفسه). ولكن هذا العجز الأفن قالها على طريقة العرب في نطق الكلمات الأجنبية على الطريقة العربية، فالتبس الأمر واختلط! ويحضرني قول الشاعر:

وَقَدْ لَحِبَ الْجَنَانِ وَاحْدَوْدَبَ الظُّهْرُ	عَجُوزٌ تُرَجِّي أَنْ تَكُونَ فَنِيَّةً
وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَارُ مَا أَفْسَدَهُ الدَّهْرُ	تَدُسُّ إِلَى العَطَارِ سَلْعَةً بَيْتِهَا

فأي تركة وورثة يتركها لنا وللأجيال الصاعدة هذا المهلهل؟ أما أن لك أن ترحل وتجنبنا هذه التفاهة والهديان وحب الذات والتباهي بمنجزاتك وأفعالك التي لا تهمنا؟ ما أسخف تلك الفضائية التي تفسح لك في المجال لكي تستعرض عضلات لسانك في الثرثرة والمراوغة! أم أن ذلك جزء من مخطط مبرمج ممنهج؟ يا بختنا عليك!



قبل كتاب كارتر ومنذ مدة قريبة أيضاً، صدر كتاب جديد آخر لمادلين أولبريت وزيرة الخارجية الأميركية في عهد الرئيس الأميركي بيل كلينتون، بعنوان:

The Mighty & The Almighty: Reflections on America, God and World Affairs

تناولت فيه دور الدين وأثره في صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة وإدارة الصراع في منطقة الشرق الأوسط والعالم. وحذار أن تتناولها لا من قريب ولا من بعيد في بحث أكاديمي أو رسالة دكتوراه تقع في أيدي العلامات المتنورين المنافيين، لاسيما في أوربا العجوز المتزمتة والمنغلقة فكراً والعنصرية والمناقفة والمعقدة نفسياً والتي تعاني عقدة ذنب كبيرة، مصداقاً حبهم للحقيقة والعلم والمعرفة، وإن الرقنين تغطي أفن الأفين³³، فقد لا يكتب لها أن ترى بصيص النور. ثم تأتينا إحدى الباحثات المتهورات المندفعات تشن حرباً "كونية"³⁴ عليهم بعدما أمنت لنفسها ما

³³ مثل عربي قديم يضرب لمن يغطي الغنى عيوبه وضعفه. الرقنين النقود المضروبة. والأفن الضعف.

³⁴ Galactic.

أمنت فأمنت سخطهم وغضبهم وانتقامهم! ومن بعدي الطوفان و(عش يا حماري من بعدك ما ينبت حشيش). ولم تدرك بقصر نظرها واندفاعها بأنه عندما تتقاطع الأكاديمية والسياسة والمصالح الشخصية فإن أكثر العلامات تنورا في الغرب (والشرق أيضا) منافق كذاب متعصب. وبالشهد لا الخل يجتذب الذباب، أو كما كانت تقول جدة أميركية: (You can catch more flies with honey than with vinegar)!



وكما عهدنا صحافتنا العربية المستلبة في كل مناسبة وحدث، قام العباقرة فيها وفي مراكز الدراسات المتخصصة بترجمة الكتاب ونقل عنوانه إلى العربية على النحو الآتي:

القوي والجبار

القوي والقدير: تأملات حول أميركا والخالق والشؤون الدولية

ناهيك عن الخلل الأحمق في اعتماد (حول) في ترجمة العنوان الفرعي بدلاً من (في)، ذلك أن التأمل والتبخر والتمعن والنظر والتفكير ألفاظ ذات دلالة ذهنية تستوجب حرف الجر (في) في العربية، ولكن مترجمنا القدير بمجرد رؤيته لحرف الجر (on) حوَّله في ذهنه إلى (حول)، بحكم التأثير الحرفي باللغة الإنجليزية وحروفها وبلادة الذهن. وبغض النظر كذلك عن ترجمته للفظ (God) بـ(الخالق)، ترفعاً منه واستعلاءً وإقصاءً وإلغاءً وتمييزاً عنصرياً، أو ربما تورية³⁵، بدلاً

³⁵ يُعد ذكر لفظ الجلالة في الكلام العادي في بعض المجتمعات الغربية الأصولية تجديفاً، انطلاقاً من التعاليم التوراتية والوصية الثالثة من الوصايا العشر التي نزلت على النبي موسى عليه السلام. جاء في الأصحاح العشرين من سفر الخروج من العهد القديم: {لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً} (الكتاب المقدس، سفر الخروج، ٢٠ - ٧، النسخة العربية الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط). وهو مترجم عن اللغة الإنجليزية:

من نقله بلفظ الجلالة (الله)، ذلك أن النص الأصلي لم يقل (The Creator)، ونقله لفظ (God) بالخالق لا يجنبه ما أراد وابتغى وطلب ونشد وسعى إلى تجنبه باستعلائه وعنجهيته وانغلاقه الفكري وتزمته وتعرضه للنص الأصلي. فالخالق في العربية هو الله، سواء أكان ذلك في الإسلام أم المسيحية، وبأي صفة وصفته من صفاته وأسمائه الحسنى فلا يغير ذلك من واقع الحال شيئاً. والأمانة العلمية والأدبية تقتضي نقل الكلام بدقة وأمانة فيما هو متعارف عليه بين الشعوب والأمم في نقل المعارف والعلوم. فإن ارتأى أهل اللغة الإنجليزية الدلالة على الله بلفظ (God) فهو شأنهم والدلالة في اللغتين واحدة بغض النظر عن التفاسير الفقهية واللاهوتية وطبيعية الذات الإلهية، والسفسطات التي تصاحبها³⁶. أجل، بغض النظر عن هاتين الناحيتين، (وهذه عبارة استثنائية)، فقد ضيعت الترجمتان المعنى، وأفقدتا العنوان الأصلي خاصة مهمة وجوهية من خواص المعنى المقترن به اللفظ، ألا وهو الجنس اللفظي بين (Mighty) و (Almighty). وهذا ركن أساس في المعنى لم يأتِ اعتباطاً ودون علة وسبب. ومن يقرأ العنوان الإنجليزي يدرك فوراً

Thou shalt not take the name of the Lord thy God in vain; for the Lord will not hold him guiltless that taketh his name in vain.
(Exodus 20:7)

ورغم أن هذا ليس موضوع المقال هنا، فمن اللافت أن المترجم نقل لفظ (God) في مواضع أخرى من الكتاب المقدس بلفظ الجلالة (الله)، كما جاء في سفر التكوين الأصحاح الأول {في البدء خلق الله السموات والأرض... وقال الله ليكن نور فكان نوره. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة...}. ومن الواضح أن التركيب النحوي (thy God) قد سبب للمترجم، الذي اعتمد نهج التتابع والمصاقبة والانتلاف في الترجمة (concordance) الذي كان سائداً آنذاك، مشكلة إذ لم يستطع القول (اللهك)* فانتقل منه إلى (اللهك)، فغير المعنى المقصود وهو التخصيص، فالنص الأصلي يعني (الله) وليس أي إله آخر. هذا إلهي وهذا إلهك، الخ. وكان بإمكان المترجم نقل الآية كالاتي، باعتماد القلب والبدل، دون المساس بالمعنى لأن اللفظين يتساويان في القيمة المعنوية، وهما مترادفان يدلان على الذات الإلهية ذاتها (لا تتخذ من اسم الله ربك هزواً... أو (لا تتخذ من اسم ربك الله هزواً...)). ومهما يكن من أمر، فإن تلك المجتمعات الأصولية تتجنب ذكر الله عرضاً. أما في المجتمعات العربية، فإن لفظ الجلالة يتكرر في الدعاء والرجاء واللعن والسب والتحدي. فلعل صاحبنا الذي قام بترجمة عنوان الكتاب قد التزم بهذه القاعدة الاجتماعية المتبعة. ولعلنا نعطي هنا أكثر مما يستحقه من حصافة وفطنة ودراية.

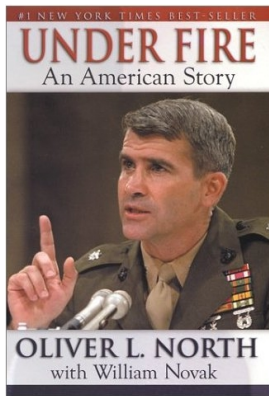
³⁶ ثمة رأي يقول إن لفظ الجلالة (الله) اسم علم على الإله الخالق المعبود بحق، وحكمه في اللغة حكم أي اسم علم نحو سعيد وعمر وعلي وسليم وحنا وجورج وميلاد. لذا وجب نقله إلى اللغات الأجنبية على هذا النحو (Allah). وعليك إن نطقتها أن تمد المقطع الثاني منها. وهذا رأي استفرادي ضعيف يتجاهل الأعراف والأصطلاح في اللغات والحضارات الأخرى التي تنتمي إلى الرسالتين السماويتين المتصلتين بالإسلام روحاً ومورثاً، المسيحية واليهودية، ويخالف المبدأ الأساس في التواصل والتبليغ. فلفظ الجلالة مشترك بين المسلمين والمسيحيين في الشرق وفي العربية، ونقله كما هو إلى اللغات الأخرى يكون فكرة مخالفة عند المتلقي بأن المسلمين أو مسيحيي الشرق يعبدون رباً آخر، وبذلك تتشوه الرسالة وتلتبس المعاني، ويسهل الإقصاء والاستبعاد والاستعلاء والتمييز من كلا الطرفين. فتنسج الهوية وتزيد الفروق ويعمق الشرخ بين أبناء الوطن الواحد في الشرق رغم أن ما يجمعهم في الجوهر أكثر بكثير مما يفرقهم في المظهر، خلافاً لما يتوهم معظمهم. وتجدر هنا الإشارة إلى أن الترجمة المصطلحات الأخرى مثل (الجماعات التكفيرية) التي ينقلونها إلى الإنجليزية كالاتي: (takfiri groups)، فيتحول المفهوم الواضح في العربية، إن لم يُشرح للقارئ، إلى مفهوم غامض ملتبس لا يعني شيئاً كثيراً في الإنجليزية بل ربما يعني جماعات شعوزة وسحر (cult groups)، فيزيد الطين بلة (بفتح الباء ويضم ولا يكسر. فكسره يغير معناه إلى السُّم وهو نوع من الشجر أو عسله). ومنهم من يجتهد في ترجمته بـ (Excommunicators)، ولكن الاستعمال الديني لهذا اللفظ الإنجليزي ينحصر في سلطة شرعية كنسية رسمية تقوم بالحرمان والإقصاء. أما في استعماله العادي فيعني النبذ من الجماعة. والجماعات التكفيرية حركات لا تنتمي إلى مؤسسة دينية رسمية. ويخفق في كلتا الحالتين في نقل المعنى الكامل المقصود به اللفظ العربي. ولكنه يبقى أفضل من (takfiri groups).

القصد والغاية والمغزى بمجرد تعامله مع اللفظين. أما من يقرأ الترجمة العربية في المثليين وغيرهما، فإنه قد يصل إلى المغزى بشق النفس وجهد جهيد وبعد عناء ومشقة لا يتكلفهما ولا يتجشهما إلا من لا يقبل القراءة السطحية للنصوص التي يقذف بها إلينا مترجمونا وإعلاميوننا الفطاحل!

فمن الواضح للمتوقد ذهنه والواعي عقله والفظن الحذق أن المعنى المقصود في الأصل قد ضاع في هاتين الترجمتين وغيرهما من تخريجات مشابهة. فما الذي يوحى به إلينا (القوي والجبار) أو (القوي والقدير)؟ أهذه صفات يختص بها الله وحده أم أنها تطلق أيضاً على البشر؟ لو تأملنا العنوان الأصلي في الإنجليزية لوجدنا أن لفظ (The Almighty)، هو صفة من صفات الله، أي من أسماء الله الحسنى عند أهل تلك اللغة. لاحظوا اقتران (The) بـ (Almighty) اقتراناً لازماً، ولاحظوا أيضاً أن أداة التعريف تكتب دائماً بحرف استهلاكي كبير تخصيصاً. وكان حرياً بمن نقل هذا العنوان أن ينقله على النحو الآتي:

القاهر والقهار

فالقاهر هو الغالب، وهي من معاني (mighty)، والقهار هو الغالب الذي لا يحدُّ غلبته شيء، وهي صفة من صفات الله ومن أسمائه الحسنى، وهي من معاني (The Almighty). ولكن افتقار معظمهم إلى العمق والتعمق في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها واستخفافهم بهذا العمل الشريف والمهم والجوهري، أعني الترجمة، يصرف الهمم الكليّة عن تقصي المعاني وتحري المقاصد وإدراك الغايات من الكلام ونقل الحقيقة!



ولقد ذكرنا من قبل كيف قام مترجمو الكفاف³⁷ بنقل عنوان كتاب أوليفر نورث (Under Fire) إلى العربية بـ (تحت النار)! فقد عجزوا عن فهم المعنى الاصطلاحي لهذا التعبير. ولم يكن اختيار العنوان في الإنجليزية هنا أيضاً أمراً اعتباطياً، فقد جمع العنوان بين الاستعمال العسكري للتعبير، نظراً إلى الطبيعة العسكرية لفضيحة "إيران - كوتترا" والاستعمال المدني له. ولكن هذه هي حالهم في نقل العناوين فكيف نثق بمحتويات الكتاب إذا لم يستطع ناقل الكتاب فهم عنوانه؟ ورغم أن المثل الإنجليزي يقول (Never judge a book by its cover)، أي "لا تحكم على كتاب من غلافه"، فإن المثل العربي الشعبي (المكتوب يعرف من عنوانه) أصدق قولاً بالنسبة إلى أولئك الهواة. وتبني مناظير الذل والتبعية والفوقية يبدأ بالعناوين! وصدق أبو داود حارثة بن الحجاج حين قال:

أكل امرئٍ تحسبينَ امرأً | ونارٍ توقدُ بالليلِ ناراً؟³⁸

³⁷ الكفاف بكسر الكاف: ما استدار حول الشيء.

³⁸ بيت الشعر لأبي داود حارثة بن الحجاج.



جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

أنجزت المسودة الأخيرة في ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦

حقوق الملكية الفكرية للمؤلف

يا قارئ المكتوب فكر في الذي كتب
واحفظ حقوق الفكر في المخطوط محتسبا
لا تأخذن النص من مخزون كاتبه
أو تدعي في العلم فضل الغير منتسبا
واحذر فإن الفكر معقود لصاحبه
مهما تمادى الغير في المنسوخ مكتسبا
هذي سطور من جنى الأيام أكتبها
فانكر إذا في العلم والآداب من كتب

المؤلف